روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الصقر الأعمى
٩٧
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبري) .. ضابط مخابرات مصري، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعني أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - هونج كونج ..

انتشر ضباب خفيف في الميناء، وخيم على المكان صمت عجيب، وبدا مظلمًا كئيبًا، تتسلّل إليه أضواء (هونج كونج) في وهن، عبر سحب الضباب، فتمنحه ظلالًا باهتة ممتدّة، أضفت عليه المزيد من الرهبة ..

ثم ظهرت تلك السيارة ..

سيارة ألمانية فاخرة سوداء، عبرت رصيف الميناء في بطء، دون أن تضيء مصابيحها، ثم توقفت أمام مخزن كبير، وغادر سائقها مقعده، بثيابه المزركشة الأنيقة، دوار حول مقدمة السيارة في خطوات أقرب إلى العدو، في نفس اللحظة التي انفتح فيها الباب المجاور له، وذلك الذي خلفه، وخرج منهما رجلان في ثياب سوداء شبه رسمية، وكل منهما يحمل مدفعًا آليًا، ويدير عينيه في المكان، في تحفز حذر متوتر، حتى فتح السائق الباب الخلفي الآخر، وانحنى انحناءة كبيرة، كاد رأسه معها يرتطم بالأرض، وهو يقول في احترام بالغ :

- الميناء يا مستر (شوابن) .

وفي بطء، غادر السيارة رجل صيني الملامح، يرتدي

حلة سهرة سوداء ، ورباط عنق صغيرًا ، على نحو بدا مثيرًا للضحك ، مع جسده الضخم ، ورأسه الأصلع تمامًا ، وشاربه الرفيع الطويل ، وإن كان ذلك المناخ المحيط به يشف عن أهمية وخطورة موقعه أو عمله ..

وبسرعة ، تحرك الحارسان بمدفعيهما ، واقتحما المخزن ، وراحا يفحصانه في سرعة عصبية ، ثم غادراه ، وانحنيا أمام الصيني ، وأحدهما يقول :

- كل شيء على ما يرام يا مستر (شواين) .

وهنا سار الصيني في هدوء إلى المخزن ، واتجه إلى مقعد ضخم ، فاحتله عن آخره ، واضطجع فيه في استرخاء ، ثم أشعل سيجارًا ضخمًا ، ونفث دخانه في الهواء ، وهو يتطلع إلى الباب في ترقب .

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى وصلت سيارة أخرى ، أمريكية الصنع ، توقفت خلف السيارة الألمانية تمامًا ، وغادرها ثلاثة من المسلحين ، ثم تبعهم رجل نحيل طويل ، له شعر أشيب كث ، وعينان ضيقتان ، وأنف طويل معقوف ، وتوقف ذلك الرجل لحظات ، أمام باب المخزن ، وبدا شديد التوتر والعصبية ، عندما فتشه حارسا الصيني في سرعة ، قبل أن يسمحا له بالدخول ، ولكن الصيني استقبله بابتسامة باردة ، وهو يقول :

- معذرة يا مستر (شالوم) .. إنني رجل حذر بطبعي ، وأرجو ألا تزعجك إجراءات الأمن التي نحرص عليها .

أجابه (شالوم) في عصبية :

- أعتقد أنكم تبالغون كثيرًا في حرصكم هذا يا (شواين) ، فأنت تعلم أنه ليس من مصلحتنا القضاء عليك .

قلب (شواين) كفه وهو يقول في خبث :

- من يدري يا عزيزي (شالوم) ؟.. يقول حكيمنا (كونفشيوس) :

« إن القلوب تتبدل مع اتجاه الرياح » .

بدا الضيق على وجه (شالوم) ، وقال :

فليكن يا (شواين) أنت حر فيما تفعله بنفسك .

رفع (شواين) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- إنها القاعدة الأولى في حياتي يا صديقي ، فأنا رجل أعشق الحياة كثيرًا ، وفي مثل مهنتنا ، لن تحظى ببلوغ سن التقاعد ، لو لم تكن مبالغًا في الحرص والحذر .

قال (شالوم) في ضجر :

دعنا من هذه الحكم والمواعظ ، وأخبرني .. هل أحضرت الأقلام ؟

أومأ (شواين) برأسه إيجابًا في بطء ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. ولكن ذلك لم يكن سهلًا ، فالمصريون حريصون للغاية ، والحصول على أسرار عسكرية منهم ليس باله ..

قاطعه (شالوم) فى صرامة :

ـ لا أحد يعرف المصريين مثلنا .. أين الأفلام ؟

مال (شواين) نحوه ، وهو يقول فى خبث :

ـ وأين النقود ؟

أشار (شالوم) إلى أحد رجاله ، فأسرع يحمل إليهم حقيبة متوسطة الحجم ، قدّمها (شالوم) إلى (شواين) ، قائلًا :

ـ ها هى ذى .. ثلاثة ملايين دولار عدًا ونقدًا .

أشار (شواين) بسبابته ، قائلًا :

ـ افتحها بنفسك .

زفر (شالوم) فى توتر ، مع ذلك الحذر الزائد ، وفتح الحقيبة ، ثم أدارها فى مواجهة (شواين) ، الذى برقت عيناه فى شراهة عجيبة ، وهو يتطلّع إلى النقود ، فى حين كرّر (شالوم) فى عصبية :

ـ والآن أين الأفلام ؟

اعتدل (شواين) ، وقال فى دهاء :

ـ فى أمان .

ثم انتزع من بين شفتيه ذلك السيجار ، الذى ينهمك فى تدخينه ، وهو يستطرد :

ـ هل تعلم يا مستر (شالوم) .. يدهشنى كثيرًا من يقولون : إن التدخين ضار ، ففى رأيى أنه يساوى الكثير ..

ومزّق السيجار بحركة عنيفة مباغتة ، وهو يستطرد :

ـ يساوى ثلاثة ملايين دولار .

وأمام عينى (شالوم) ، سقط من السيجار كيس صغير ، يحوى أربعة من أفلام (الميكروفيلم) الدقيقة ، والتقط (شواين) الكيس ، وهو يقول :

ـ ألا توافقنى على هذا ؟

هتف به (شالوم) فى لهفة :

ـ أعطنى هذه الأفلام .

قال (شواين) بابتسامة كبيرة :

ـ لقد دفعت ثمنها ، وأنت تستحقها .

وألقى إليه الكيس الصغير ..

ولكن (شالوم) لم يتلقّفه أبدًا ..

فجأة ، وقبل أن يصل الكيس إلى يد (شالوم) ، تحطّم زجاج النافذة العلوية للمخزن فى عنف ، وعبرها جسد شاب ممشوق القوام ، قوى البنية ، يحمل فى يده مسدسًا

كبيرًا ، أطلق منه رصاصة واحدة ، قبل أن يهبط جسده أرضًا ..

وأصابت هذه الرصاصة كيس (الميكروفيلم) ، وأطاحت به حتى آخر المخزن ..

وصرخ (شالوم) في ذعر :

ـ من هذا ؟

أما (شواين) فقد اتسعت عيناه في ذهول وارتياع ، في حين تحرّك رجلاه ورجال (شالوم) الثلاثة في سرعة ، وهم يصوبون أسلحتهم إلى ذلك القادم الجديد ..

ولكن الشاب هبط على قدميه ، وهو يطلق مسدسه ، فيطيح بأحد حارسي (شواين) برصاصة مباشرة ، استقرت في جمجمة الرجل ، ثم وثب جانبًا ، متفاديًا سيل الرصاصات ، الذي انهمر عليه من رجال (شالوم) ، وقفز يجذب إليه هذا الأخير ، ليصنع منه درعًا واقية ، وهو يطلق النار على أحد رجاله الثلاثة ، ويرديه قتيلًا على الفور ..

وصرخ (شالوم) :

ـ لا تطلقوا النار .

ولكن (شواين) صرخ في حارسه الآخر ، في اللحظة نفسها :

ـ اقتله .. أطلق النار .

أطاع كل منهم زعيمه دون تفكير ، فتوقّف حارسا (شالوم) عن إطلاق النار ، في حين انهال حارس (شواين) برصاصاته ، التي اخترقت كلها جسد (شالوم) ، فصرخ أحد حارسي هذا الأخير :

ـ أيها الوغد الحقير .

واستدار يطلق رصاصاته على حارس (شواين) ، فأصابه في صدره ورأسه وعنقه ، وأرداه قتيلًا على الفور ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها الشاب رصاصاته على حارس (شالوم) الآخر ، وقتله على الفور ..

وعندما استدار الحارس الأخير ، لمواجهة الشاب ، كان هذا الأخير يدفع جثة (شالوم) جانبًا ، ثم يقفز أرضًا ، ويتدحرج متفاديًا الرصاصات ، ثم يقفز واقفًا على قدميه في رشاقة ، ويطلق رصاصته نحو الحارس ، الذي أطلق عليه رصاصته بدوره ..

ومزّقت رصاصة الحارس سترة الشاب ، وقميصه ، وجزءًا من لحم ذراعه ، في حين اخترقت رصاصة الشاب منتصف جبهة الحارس ، وألقته صريعًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفي حركة سريعة رشيقة ، دار الشاب على عقبيه ،

وصوّب مسدسه إلى (شواين) ، ولكن هذا الأخير كان يتصبّب عرقًا في غزارة عجيبة ، وهو يمسك بيده جهازًا صغيرًا ، له زر أحمر واحد ، ويهتف في انفعال شديد :

ـ حذار أن تطلق النار ، وإلّا انفجر كل شيء .

اعتدل الشاب في وقفته ، وهو يقول في سخرية :

ـ ماهذا بالضبط ؟.. فيلم صيني هزلي ؟

أجابه (شواين) في عصبية شديدة :

ـ بل هو جهاز تفجير شديد الحساسية ، يكفي أن أضغط زره الأحمر هذا ، لأنسف المخزن كله في لحظات .

سأله الشاب في استهتار :

ـ ولماذا لا تفعل ؟

قال (شواين) ، والعرق الغزير يغمر وجهه كله ، ويتصبب على قميصه الأبيض :

ـ إنني أعرض عليك صفقة .

أجابه الشاب ، دون أن يخفض فوهة مسدسه :

ـ كلي آذان صاغية .

قال (شواين) :

ـ أنت مصري .. أليس كذلك ؟

أجابه الشاب بسرعة :

ـ (حسام حمدي) .. من المخابرات المصرية .. ولست في خدمتك

أشار (شواين) بيده اليسرى إلى ركن المخزن البعيد ، حيث سقطت أفلام (الميكروفيلم) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. ما دمت أحد رجال المخابرات المصرية ، فكل ما يهمك وتسعى إليه ، هو (الميكروفيلم) ، ليس إلا .. خذ الأفلام إذن وانصرف .

تراجع (حسام) في بطء ، حتى بلغ موضع (الميكروفيلم) ، دون أن يرفع عينيه عن (شواين) ، أو يخفض فوهة مسدسه ، وانحنى في بطء يلتقط كيس الأفلام ، ووضعه في جيبه ، ثم اعتدل قائلًا :

ـ لقد حصلت على الأفلام .. ولكن أخبرني بالله عليك ، لماذا أنصرف ، قبل أن أزين جبهتك بواحدة من رصاصات مسدسي ؟

أجابه (شواين) في عصبية :

ـ حتى يبقى كلانا على قيد الحياة .. لو أنك قتلتني سأضغط هذا الزر حتمًا ، وينفجر المخزن كله ، وتلقى أنت أيضًا مصرعك .

استند (حسام) إلى النافذة ، وهو يقول :

ـ سبب منطقي للغاية .

بدا الارتياح على وجه (شواين) ، وهو يقول :

ـ عظيم .

ولكن (حسام) استطرد فى صرامة :

ـ ولكننى لن أسمح لمثلك بالبقاء ، فأنت تهدد أمن دولتى باستمرار .

هتف (شواين) فجأة :

ـ ما رأيك فى ثلاثة ملايين دولار ؟

ابتسم (حسام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أهى رشوة جديدة ؟

دفع (شواين) حقيبة النقود بقدمه ، وهو يقول :

ـ خذها كلها .. لست أريد دولارًا واحدًا منها .

ثم ارتجف صوته ، وحمل رنة ضراعة واستعطاف ، وهو يستطرد :

ـ ولكن اتركنى أحيا .

قال (حسام) فى هدوء :

ـ كلا يا مستر (شواين) .. إنك رجل تعشق المال ، ولن يروق لى أبدًا أن أحرمك منه .. خذه معك يا مستر (شواين) .

ثم وثب إلى حاجز النافذة ، مضيفًا :

ـ إلى الجحيم .

وضغط زناد مسدسه ، واخترقت رصاصته رأس (شواين) ، فى نفس اللحظة التى وثب هو فيها إلى الماء ..

وجحظت عينا (شواين) ، وضغط إبهامه الزر الأحمر فى قوة ، و ...

ودوى الانفجار ..

ومع دويه الهائل ، الذى ارتج له الميناء كله ، كان جسد (حسام حمدى) يرتطم بالماء ، ويغوص فيه بسرعة ..

وفى حزم وعلى الرغم من ذراعه المصابة ، راح (حسام) يسبح ، حتى بلغ زورقًا بخاريًا ، يقوده رجل عريض المنكبين ، أسرع يساعده على الصعود ، والنيران المشتعلة فى المخزن تتوهج بشدة ، وتنعكس فى مشهد مخيف على سطح الماء ..

ولم يكد (حسام) يصعد إلى الزورق ، حتى سأله الرجل فى لهفة :

ـ هل استعدت الأفلام ؟

أخرج (حسام) كيس الأفلام من جيبه ، و ناوله إليه ، قائلًا :

ـ بالطبع .

تناول الرجل الأفلام فى حرص ، وهو يقول :

ـ لقد تلقيت رسالة من مندوب المخابرات فى قنصليتنا هنا .. إنهم يريدونك فى (القاهرة)

رفع (حسام) عينيه إليه ، وسأله :

- أهى مهمة جديدة ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وهو يقول .

- بالتأكيد .. ولكنهم يطالبونك بالعودة صباح 'غد حتى لو اضطررت للدوران حول (أوربا) و (آسيا) . من الواضح يا رجل أنها مهمة خاصة .

واكتسى صوته بنبرة عجيبة ، وهو يستطرد :

- خاصة جدًا .

وكان على حق .

* * *

٢ - الأفعى ..

لاذ أعضاء مجلس إدارة شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) بالصمت التام ، وهم يتطلعون فى قلق مبهم إلى (تونى بورسالينو) ، رئيس مجلس الإدارة ، الذى جلس فى مقعده على رأس المائدة ، يشعل سيجارته فى بطء ، متجاهلًا القواعد المعمول بها فى المجلس ، والتى تمنع التدخين خلال الاجتماعات ، وينفث دخان السيجارة فى بطء أكبر ، فى وجوه الحاضرين ، قبل أن يعتدل فى مقعده ، ويقول بلهجة تموج بالغرور والغطرسة :

والآن أيها السادة ، ما رأيكم فى المشروع الجديد ، الذى يتولاه الدكتور (صبرى) ، رئيس وحدة الأبحاث الطبية الإليكترونية للشركة ؟

تنحنح الدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يقول :

- لقد شرحت لكم فائدة المشروع ، من الناحية الطبية ، ومدى ما يمكن أن يحققه من أرباح ، من الناحية الاقتصادية ، أضف إلى هذا الدعاية للشركة ، و ...

قاطعه (تونى) بابتسامة هادئة :

- لقد شرحت لهم كل هذا بالتفصيل يا دكتور (صبرى) ،

وعليهم أن يتخذوا قرارهم الآن .

ثم التفت إلى الأعضاء في صرامة ، مستطردًا :

ـ والقرار متروك لتقديركم بالطبع .

تبادلوا نظرات قلقة ، وكل منهم يخشى اتخاذ قرار ما ، قبل أن يعرف رأي (توني) بالضبط ، وارتسمت على شفتي هذا الأخير ابتسامة متشفية ، وهو يلوذ بالصمت أكثر وأكثر ، وكأنه يعرف ما يدور في رءوسهم ، ويتلذذ بتعذيبهم وإذلالهم ، حتى شعر بقرب انهيارهم ، وتأكد من أن أحدًا منهم لم يجرؤ على مخالفته ، فتراجع في مقعده ، وقال في غطرسة :

ـ من جهتي أنا ، أوافق على المشروع تمامًا .

وهنا تنفس الجميع الصعداء ، وبدا الارتياح واضحًا على وجوههم ، وهتف أحدهم بسرعة ، وكأنه يلقي عن كاهله حمل ثقيل :

ـ ومن يمكنه أن يرفض مشروعًا رائعًا كهذا ؟

وكأنما كانت هذه إشارة البدء ، فقد اندفع الجميع بغتة يؤيدون المشروع في حماس شديد ، أدهش حتى الدكتور (أحمد صبري) نفسه ، في حين تألقت عينا (توني) في شدة ، وهو يراقب ما يحدث ، قبل أن يشير بيده في حزم ، فيسود الصمت التام بغتة ، ويقول هو :

ـ في هذه الحالة ستمنح الدكتور (صبري) الاعتمادات اللازمة ..

ثم التفت إلى الدكتور (أحمد صبري) ، وصافحه قائلًا :

ـ أهنئك .

صافحه الدكتور (أحمد) ، وهو يتمتم بصوت ملؤه الدهشة :

ـ أشكرك .. إنني لم أتوقع في الحقيقة كل هذا التأييد .

نفث (توني) دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ ما دمت أنا قد وافقت ، فيمكنك اعتبار الأمر منتهيًا .

نهض الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :

ـ في هذه الحالة أستمحيكم عذرًا في العودة إلى معملي وأبحاثي .

أشار (توني) بيده ، وهو يقول :

ـ تفضل يا دكتور (صبري) .. لقد انتهى اجتماع مجلس الإدارة على أية حال .

قالها ، وهو يرمق أعضاء مجلس الإدارة بنظرة جانبية ، جعلتهم يرتبكون لحظة ، ثم ينهضون في سرعة ، وبعضهم يقول :

ـ حسن .. متى يأتي الاجتماع القادم يا مستر (بورساليتو) ؟

أجابهم فى لا مبالاة :

- سيتم إعلامكم فى الوقت المناسب .

انصرف الجميع بسرعة ، وأقدامهم تتخبط ببعضها ، وهزّ الدكتور (أحمد) رأسه فى حيرة ، وهو يستعد للانصراف ، قائلًا :

أى مجلس إدارة هذا ؟.. إنه يذكرنى باللجان الاستشارية ، فى الدول الديكتاتورية .. مجرّد تنظيم شكلى ، بلا إرادة فعلية .

بدت على شفتى (تونى) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- هذا أفضل .

ثم شدّ على يد الدكتور (أحمد) ، مستطردًا :

- ولكن لا تشغل نفسك بهذا ، وابذل أقصى طاقتك فى مشروعك .. إننا ننتظر منه نصرًا علميًا وتجاريًا فذًا .

تمتم الدكتور (أحمد) :

- سيكون كذلك بإذن الله .

تبعه (تونى) ببصره حتى انصرف ، ثم اتجه بسرعة إلى حجرة جانبية ، ولم يكد يفتحها حتى بادرته من داخلها (سونيا جراهام) ، قائلة :

- أحسنت إدارة هذا الاجتماع يا (تونى) .

زالت عنه فجأة كل مظاهر الغرور والغطرسة ، وانكمش على نفسه ، وهو يقول :

- إننى أتبع توجيهاتك يا مسز (آرثر) .

نفثت دخان سيجارتها الرفيعة فى بطء ، وهى ترمقه بنظرة سرت لها فى جسده قشعريرة باردة ، مع قولها :

- يبدو أنك قد استمرأت السلطة يا (تونى بورسالينو) .

كان من النادر أن تخاطبه باسمه كاملًا ، فتوجس خيفة ، وانكمش على نفسه ، على نحو لا يمكنك أن تصدّق معه أنه هو نفسه ذلك الأسد الهصور ، الذى كان أعضاء مجلس الإدارة يرتجفون أمامه منذ لحظات ، وأطلّ من عينيه خوف واضح ، وهى تستطرد بلهجة باردة ، لا تبشر بالخير :

- وأرجو ألا تكون قد نسيت أننى القائد الحقيقى هنا .

أجاب بسرعة :

- لا يمكننى أن أنسى هذا قط يا سيّدتى .

استندت إلى ظهر مقعدها فى هدوء ، وراحت تنفث دخان سيجارتها ، وهى ترمقه بنظرات باردة ، سرت لها قشعريرة كالثلج فى عروقه ، فقال ، محاولًا التغلب على اضطرابه وتوتره :

ـ من الواضح أن العمل فى المنظمة يسير على ما يرام .

رمقته بنظرة باردة أخرى ، ومدّت يدها تغلق شاشة المراقبة ، التى تنقل إليها كل ما يدور فى حجرة اجتماعات مجلس الإدارة ، وهى تسأله :

وما الذى أوحى إليك بهذا ؟

دفع أقصى قدر أمكنه اصطناعه من الحماس إلى صوته ، وهو يقول :

ـ المعلومات تنهال بغزارة من كل المصادر ، وبالذات من (إسرائيل) و (مصر) و(الولايات المتحدة الأمريكية) ، و(روسيا) ، وتتم تغذية أجهزة الكمبيوتر بها أولاً فأولاً ، كما أن لنا الآن عملاء فى المخابرات المصرية ، و (الموساد) ، والـ (كى . جى . بى) ، والـ (سى . آى . إيه) .. ألا يعد هذا انتصارًا ساحقًا ؟!

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تهزّ رأسها فى حزم ، قائلة :

ـ ليس بعد .

قال فى حيرة :

ـ وماذا ينقصنا ؟

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ ضربة قوية .

تطلّع إليها فى تساؤل ، فتابعت فى حماس :

ـ ضربة قاصمة ، تثبت لكل أجهزة المخابرات فى العالم ، أن منظمة جديدة قد وُلدت فى عالمهم ، وتحمل اسم (سناك) .. منظمة تستفيد بخبرات ومهارات كل أجهزة المخابرات فى العالم ، وتتفوّق عليها .. منظمة من الطراز الأوّل ، تحتل مكانة رفيعة فى عالم الجاسوسية ، ولن تلبث أن تحتل موقع الصدارة ، وتخضع العالم كله لنفوذها .

نطقت العبارة الأخيرة بلهجة مخيفة ، وعيناها تتألقان فى شدة ، حتى أنه شعر بالخوف أمامها ، وتمنى لو أنه لم يعمل لحسابها قط ، وأدهشه وأفزعه أن قال فى آلية :

ـ وسيدعون محاربتهم لنا .

قالها وانكمش على نفسه فى شدة ، متصورًا أنها ستنفجر فى وجهه غاضبة ، إلا أنه فوجئ بها تبتسم ، قائلة :

ـ إننى أتوق لهذه المرحلة ، فصراعهم معنا ، وانتصارنا عليهم ، هو السبيل الوحيد لتأكيد قوتنا ومكانتنا .

ثم استدارت تشير إلى خريطة العالم خلفها ، مستطردة فى حماس :

ـ لقد انتهى بناء مركز قيادتنا ، فى جزيرة (هيل) ،

وكل معلوماتنا يتم نقلها الآن إلى مركز المعلومات هناك ، وكل ما نحتاج إليه هو سلاح قوى ، ونصبح أعظم قوة فى العالم .

سألها فى حيرة :

– ومن أين نأتى بهذا السلاح القوى ؟ .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

– من آخر الامبراطوريات المنهارة ، فى تاريخنا الحديث يا (تونى) .

ونقلت سبابتها إلى اليمين ، وأشارت إلى منطقة واسعة على خريطة العالم ، مستطردة :

– من (روسيا) ..

وازداد (تونى) قلقًا وحيرة ..

★ ★ ★

لم يكد (حسام حمدى) يصل إلى مطار القاهرة ، حتى وجد واحدة من سيارات إدارة المخابرات العامة فى انتظاره ، حملته مباشرة إلى (كوبرى القبة) ، ولقد أصابته دهشة كبيرة ، جعلته يسأل السائق :

– تُرى أى أمر عاجل هذا ، الذى يستحق كل هذه الاجراءات ؟

هزّ السائق كتفيه ، وأجاب :

ليست لدى أدنى فكرة .. لقد أمرونى بإحضارك من المطار إلى الإدارة مباشرة ، وهذه كل معلوماتى .

كان يعلم أن السائق محقٌ فى قوله ، فالقاعدة الأولى فى عالم المخابرات ، ألا يعلم أى شخص أكثر مما ينبغى ، وأنه يكفيه عمله فحسب ..

ولهذا لاذ لسان (حسام) بالصمت ..

ولكن عقله ظل يهتف بعشرات التساؤلات ..

لماذا هذه اللهفة لعودته ؟..

ولماذا الأساليب الخاصة ، التى لا تستخدم عادة إلا فى حالات الطوارئ ؟..

وفى تلك الساعة المبكّرة من الصباح ، انطلقت السيارة عبر شوارع (القاهرة) فى سرعة ، حتى بلغت مبنى المخابرات العامة ، وتجاوزت بوّابته ، بعد المرور بإجراءات الأمن المعتادة ، وتوقّف السائق فى ساحة المبنى ، وهو يقول :

ـ وصلنا يا سيّدى .

غادر (حسام) السيارة ، وألقى نظرة سريعة على ساحة انتظار السيارات ، ولاحظ وجود سيارة (مدير توفيق) ، وسيارة أخرى لم يرها من قبل ، إلى جوار سيارة المدير ، وعدد من السيارات الأخرى ، فتمتم لنفسه :

- تُرى هل تشاركنى الرائد (منى) هذه المهمة العاجلة ؟

تمنى فى أعماقه لو أن هذا حدث بالفعل ، ولكنه هزّ رأسه فى أسف ، وهو يصعد إلى الطابق الذى يحوى حجرة المدير ، مرددًا :

- لا تملأ قلبك بالأمل مرة ثانية يا (حسام) .. أنت تعلم أنها لا ، ولم ، ولن تحبك .. إن قلبها ملك لأستاذك ، الذى عشت حياتك تعتبره مثلك الأعلى ، والذى أصبح مثل القطط ، بسبعة أرواح .

كان مبهورًا بشخصية (أدهم صبرى) ، ويعلم أنه يستحق كل ذلك الحب ، الذى تحمله له (منى) ، ولكنه لم يكن يستطيع منع نفسه من الشعور بالغيرة ، لأن قلبه ما يزال يخفق من أجلها ..

وهزّ (حسام) رأسه فى قوة ، لينفض عنها تلك الأفكار ، وهو يقف أمام باب مكتب المدير ، وشدّ قامته ، قائلًا :

- هيًا يا (حسام) .. اطرح عواطفك جانبًا ، واستعد لمهمتك الجديدة .

ولم يكد مدير المكتب يستقبله ، حتى نهض يصافحه فى لهفة ، وهو يقول :

- حمدًا لله على سلامتك يا سيادة الرائد .. إنهم ينتظرون قدومك فى الداخل .

أدهشته صيغة الجمع التى استخدمها مدير مكتب المدير ، ولكنه لم يجد الوقت لطرح أية أسئلة ، والرجل يقوده مباشرة إلى حجرة المدير ، مستطردًا :

- لقد بدءوا اجتماعهم بالفعل منذ ربع ساعة ، وأعتقد أنهم سيعيدون على مسامعك كل ما تردد خلالها .

دلف (حسام) إلى حجرة مدير المخابرات ، وهو يؤدى التحية ، قائلًا :

- صباح الخير يا سيادة المدير .. الرائد (حسام حمدى) فى خدمتك .

ابتسم المدير ، وهو يرد تحيته ، قائلًا :

- مرحبًا يا (حسام) .. أهنئك على نجاح مهمتك فى (هونج كونج) .. لقد تلقيت تقريرك ، الذى أرسله الملحق العسكرى بوساطة (الفاكسميلى) ، ومن الواضح أنك تتقدم بسرعة .

لمح (حسام) بطرف عينه (منى توفيق) ، وهى تجلس إلى يساره ، ولكنه لم يلتفت إليها ، وهو يقول للمدير :

إنه لمن دواعى فخرى أن أستمع لهذا القول يا سيادة المدير .

اعتدل مدير المخابرات في مجلسه ، وهو يقول :
- أتمنى أن تبدى مهارة أكبر ، في مهمتك القادمة ، التي ستعمل فيها تحت قيادة سيادة العقيد .

قالها وهو يشير إلى الأريكة ، التي تقع خلف (حسام) مباشرة . فالتفت إليها (حسام) في بطء ، وارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، عندما وقع بصره على وجه قائده الجديد ، الذي ابتسم وهو يقول :
- إذن فأنت خليفتي المنتظر .. مرحى يا رجل .. سيروق لي العمل معك كثيرًا .

وكان الأمر يستحق هذه الدهشة البالغة بالفعل ، فالقائد الذي سيعمل معه (حسام حمدى) هو الرجل نفسه ، الذي اعتبره مثله الأعلى طيلة عمره ..

الرجل الذي يحمل ذلك اللقب ، الذي طالما تمنى هو حمله ..

رجل المستحيل .

* * *

فالتفت إليها (حسام) في بطء ، وارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، عندما وقع بصره على وجه قائده الجديد

٣ ـ روح الفريق ..

مضت لحظات من الصمت ، ومدير المخابرات العامة المصرية يدير بصره ، في وجوه الثلاثة الجالسين أمامه ، قبل أن يستند بمرفقيه إلى سطح مكتبه ، ويقول :

ـ لعل السؤال الأوّل ، الذي يملأ أذهانكم الآن ، هو : لماذا العمل كفريق هذه المرة ؟.. وجواب هذا السؤال ليس عسيرًا ، كما قد يتصوّر بعضكم ، ولكن ينبغي أن تعلموا أوّلًا ، أن قرار عملكم معًا ، جاء بعد اجتماعات واستشارات عديدة ، أكّدت أن هذا أفضل ما نفعله ، لمواجهة الخطر الجديد ، الذي استدعيناكم من أجله .

بدا الاهتمام على وجوههم جميعًا ، والمدير يتابع :

ـ إننا في هذه المرة ، نواجه منظمة جاسوسية جديدة ، تبدو أشبه بتنظيم إجرامي قوي ، يعتمد على التكنولوجيا المتقدّمة ، والاتصالات المتعدّدة ، ومعلوماتنا عنه محدودة للغاية ، حتى أنها ، وبتقدير الخبراء ، لا تتجاوز ثلاثة في المائة ، من المعلومات الواجب توافرها ، قبل مواجهة كيان كهذا ، وكل هذه المعلومات مستقاة من الجاسوس ، الذي يعمل لحساب المنظمة الجديدة ، والذي

ألقينا القبض عليه هنا ، (ناصر خيري) ، ومن أجهزة التصنت الإليكترونية الدقيقة ، التي عثرنا عليها هنا .. والعجيب أن (ناصر) حاول خداعنا ، وأنذر الرجال الذين أرسلتهم المنظمة ، للتصنت على مخابراتنا ، مما اضطرنا إلى إلقاء القبض على الرجال الثلاثة ، ولكننا أخفينا الأمر تمامًا ، فلم تتسرّب معلومة واحدة إلى الصحف ، وواصلنا تسجيل محادثاتنا الزائفة ، وإرسال سيل من المعلومات غير الصحيحة للمنظمة ، باسم رجالها الثلاثة ، إلى عنوان محدود في (روما) ، وهذا العنوان يخص أحد المطاعم الصغيرة هناك ، وصاحبه يتسلّم المعلومات ، ثم لا أحد يدري ماذا يفعل بها بعد ذلك .(*)

سأل (أدهم) في اهتمام :

ـ ألم يعترف (ناصر) بأسلوب ووسيلة اتصاله بالمنظمة ، عندما يحتاج الأمر إلى هذا ؟

أجابه المدير على الفور :

ـ لقد أدلى بقصة وهمية في البداية ، ثم عاد يعدّل أقواله كلها ، بعد أن أوقعنا بالرجال الثلاثة ، وقال : إن هناك عنوانًا للاتصال في (لندن) ، ورقم هاتف .. ولكنهم

(*) راجع قصة (المعركة الفاصلة) .. المغامرة رقم (٩٦) .

يحتجزون شقيقته الصغرى فى مكان ما ، ويهددونه بقتلها ، لو لم يتعاون معهم ، وهذا يعنى أننا نحتاج إلى العمل فى ثلاث محاور فى آن واحد .. (روما) ، و(لندن) ، والمكان الذى يحتجزون فيه الفتاة ، والذى لم يتم تحديده بعد .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ (أمريكا) .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وقال المدير :

ـ ولماذا تنطقها بكل هذه الثقة ؟

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يقول :

ـ فى عمليتنا الأخيرة فى (كيواوا) ، عثرنا على دليل يؤكد صلة (سونيا جراهام) بمنظمة (سناك) الجديدة ، وأمكننا تحديد رقم هاتف فى (نيويورك)(*) .

رفع المدير سبابته ، وقال :

ـ ولكننا لم ننجح فى تعقب الرقم ، إذ أن أحدهم استخدم نفوذه ، أو نقوده ، لمحو كل بياناته من أجهزة الكمبيوتر تمامًا .

قال (أدهم) :

(*) راجع قصة (المعركة الفاصلة) .. المغامرة رقم (٩٦) .

ـ المهم أنه كان موجودًا ، وهذا يعنى أن مقر قيادة منظمة (سناك) هناك .. فى مكان ما من (نيويورك) ، ومن الطبيعى أن يتم احتجاز الرهينة هناك .

صمت المدير لحظات مفكرًا ، ثم قال :

ـ استنتاج منطقى ، يمكننا أن نتبعه على أية حال .

وهنا سأله (حسام) :

ـ ألم يدل (ناصر) هذا بأية معلومات أخرى ؟

هزَّ المدير رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـ كلاَّ .. لم يفعل .. ولم يعد فى إمكانه أن يفعل .

التقت عنده نظرات الثلاثة المتسائلة ، فأضاف :

ـ لقد انتحر فى سجنه .

عقد (حسام) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ يا للوغد !

وقالت (منى) :

ـ هذا يعنى أن كل ما لدينا من معلومات ، عن منظمة (سناك) هذه ، هو اسمها ، وشعارها ، وبعض المعلومات الأخرى البسيطة ، التى لا تصلح كدراسة مقبولة عن الخصم .

قال المدير :

ـ هذا ما أشرت إليه منذ البداية .

ران بعد كلمته صمت مقتضب فى الحجرة ، استغرق ثوانى معدودة ، قبل أن يقول (أدهم) فى هدوء :

وهل توجد خطة محدودة فى هذه المرة ؟ أم أن المطلوب منا هو أن نتحرك وفقًا للظروف والملابسات ؟

قلب المدير كفه ، وهو يقول :

ـ مزيج من هذا وذاك يا (أدهم) .

تطلع إليه الثلاثة فى تساؤل ، فاستطرد :

ـ إننا كما أخبرتكم من قبل .. نواجه ثلاثة محاور فى آن واحد .. مركز تجميع المعلومات فى (روما) ، ومكان اللقاء فى (لندن) . ومقر المنظمة المقترح فى (أمريكا) ، ولكن هذه المحاور الثلاثة تلتقى فى نقطة واحدة .: منظمة (سناك) الجديدة .. ولأنكم ثلاثة من أفضل مقاتلينا للعمليات الخارجية ، فقد رأينا أن يتم تحريككم فى المحاور الثلاثة . حتى تلتقوا عند منطقة الهدف الرئيسى .

سأله (حسام) فى حذر :

هل تعنى أن كلا منا سيعمل بمفرده يا سيدى ؟

أشار إليه المدير بسبابته ، قائلًا :

بالضبط .

ثم اعتدل ، وهو يستطرد :

ـ ولو أن كل شىء سار على ما يرام ، فسيلتقى ثلاثتكم حتمًا فى مرحلة من مراحل الصراع .. وسيعنى هذا أنكم حققتم نجاحًا واضحًا .

بدت خيبة الأمل على وجهى (حسام) و (منى) ، بعد أن كان كلاهما يتمنى العمل بصحبة (أدهم صبرى) ، ولم يفت على المدير ملاحظة هذا ، فأضاف فى حزم :

ـ وهذا أمر محسوم ، وغير قابل قط للمناقشة .

غمغمت (منى) :

ـ كما تأمر يا سيدى .

وقال (حسام) ، دون أن يحاول إخفاء ضيقه :

ـ الواجب فوق كل شىء .

ران على المكان صمت آخر ، استغرق ثوانى معدودة ، نقل المدير نظره خلالها بين وجوههم ، قبل أن يبسط راحتيه على سطح مكتبه ، قائلا :

ـ عظيم .. الرائد (منى توفيق) ستستقل طائرة المساء إلى (روما) ، و(أدهم) سيسافر فجرًا إلى (لندن) ، و ...

قاطعه (أدهم) فى ضيق واضح :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكننى كنت أفضل أن أتولى الشق الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية .

تطلّع إليه المدير مباشرة ، وقال :

– كنت واثقًا من أنك سترغب في هذا ، ولكن يؤسفني أنني لن أستطيع تلبية مطلبك قطعيًا (أدهم) ، فأنت الشخص الوحيد الذي يصلح لأداء ذلك الشق الخاص بـ (لندن) .

سأله (أدهم) في توتر واضح :

– لماذا ؟

أجابه المدير في هدوء :

– لأن جواز السفر ، الذي ستستقل به الطائرة إلى (لندن) ، لن يحمل اسمك أو صورتك ، بل سيحمل اسم الشخص الذي يمكنهم استقباله هناك ...(ناصر خيرى) .

ولم يعد هناك مجال للمناقشة ..

أو للاعتراض ..

★ ★ ★

« انذار من جزيرة (هيل) .. أنت تقترب من منطقة خاصة محظورة .. أفصح عن هويتك ، أو يتم التعامل معك مباشرة .. أكرر ... » .

ابتسمت (سونيا جراهام) في ارتياح ، وهي تجلس داخل الهليوكوبتر ، التي تقلّها إلى جزيرتها ، عندما استمعت إلى هذا النداء ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي ، ونفثت دخان سيجارتها في عمق ، وهي تقول :

– عظيم .. إنه اختبار مثالي لأجهزة الرادار والرصد .. لقد التقطونا على بعد عشرة كيلومترات من الجزيرة ، وأرسلوا الإنذار .. لقد أحسنوا العمل بالفعل .

ثم أشارت إلى قائد الهليوكوبتر ، مستطردة :

– أجر اتصالاً معهم ، وأخبرهم كلمة السر ، وقل لهم : إنني في طريقي إليهم .

نقل الرجل رسالتها إلى الجزيرة ، فأتاهما صوت مسئول الأمن ، وهو يقول :

– مرحبًا بك في جزيرتك أيتها الزعيمة .. لقد أعددنا العدة لاستقبالك .

راقها وصفه إياها بلقب (الزعيمة) ، ولكنها سألته في صرامة :

– هل انتهى المهندس من عمله ؟

أجابها الرجل ، عبر جهاز الاتصال :

نعم يا سيدتي ، وهو في انتظار قدومك ، ليرحل بهليوكوبتر شركته الخاصة .

سألته في اهتمام :

– وماذا عن العمال ؟

أجابها على الفور :

– كل المعدات أعادتها سفينتنا إلى الشركة ، أما العمال

فالسفينة الصغرى تحملهم جميعًا ، وتنتظر أوامرك ، لتعيدهم إلى المدينة .

برقت عيناها على نحو عجيب ، وهى تقول فى اقتضاب :

ـ عظيم .

لم تضف بعدها حرفًا واحدًا ، وإنما استرخت فى مقعدها ، وهى تحمل على شفتيها الجميلتين ابتسامة عجيبة ، حتى هبطت بها الهليكوبتر فى مهبط خاص ، على سطح القلعة ؛ وهرع إليها مدير الأمن يستقبلها فى حرارة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك يا سيُدتى .. كم يسعدنى أن أكون فى شرف استقبالك ، وأنت تهبطين فى جزيرتك ، بعد أن اكتمل بناء الـ ...

قاطعته فجأة فى برود :

ـ أين المهندس ؟

ارتبك الرجل لحظة ، ثم أجاب :

ـ هناك يا سيُدتى .. عند المهبط الثانى .. يستعد للإقلاع .

اتجهت على الفور إلى المهبط الثانى ، واستقبلها المهندس بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا مسز (آرثر) .. ما رأيك فى جزيرتك ، بعد أن انتهى العمل فيها ؟..

إنها تحفة نادرة بحق .. أليس كذلك ؟!

ابتسمت فى برود ، وهو تقول :

ـ بالتأكيد .

ثم أشعلت سيجارة أخرى ، وهي تستطرد :

ـ ولكن هل نفذت الشركة كل بنود التعاقد ؟

هتف فى حماس :

ـ بلا شك .. لقد استخدمنا أفضل الخامات ، والـ ...

قاطعته وهي تنفث دخان سيجارتها في وجهه :

ـ أقصد البند الخاص بسرية العمل .

لوّح بذراعه ، قائلًا :

ـ لقد حرصنا عليه أشد الحرص ، فتم مسح كل التصميمات ومعادلات البناء الأساسية من الكمبيوتر ، وحذفنا اسم العميل ، وحرقنا الرسوم الأصلية ، و ...

قاطعته مرة أخرى :

ـ وماذا عن عمال البناء ؟

ابتسم وهو يقول فى ثقة :

ـ إنهم يجهلون حتى أين هم .

هزّت كتفيها ، والتقطت نفسًا عميقًا من الهواء النقى ، وهى تقول :

ـ ولكنهم يعرفون تفاصيل المبنى كله .

ثم استطردت فى سرعة :

- وإنشاؤه ببراعة واضحة .

اتسعت ابتسامة المهندس ، وهو يقول :

- أيعنى هذا أنك راضية عن العمل يا مسز (آرثر) ؟

بدت على شفتيها الجميلتين ابتسامة ثعلبية ، وهى تقول :

- كل الرضا .

ارتسم الارتياح على وجهه ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة يمكننى أن أرحل عائدًا إلى (نيويورك) ، ويمكننا تسوية الحساب فيما بعد .

أجابته بابتسامتها الثابتة :

- بل أنك تستحق تسوية الأمر الآن .

وناولته شيكًا ممهورًا بتوقيعها ، فألقى نظرة سريعة عليه ، وارتجف حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- ولكن هذا المبلغ يتجاوز الـ ..

قاطعته بسرعة :

- الجزء المتبقى هو مكافأة إنجاز .

تهللت أساريره ، وهو يهتف :

- أوه .. أشكرك يا سيدتى .. أشكرك كثيرًا .

واتجه فى حماس إلى الهليوكوبتر التى تنتظره ، والتى

تحمل على جانبها شعار شركته الهندسية ، فسألته (سونيا) دون أن تستوقفه :

- بالمناسبة .. ما موقف الشركة بالضبط ؟

ضحك فى جذل ، وهو يقول :

- لقد نفذت ما طلبته بالضبط يا مسز (آرثر) ، فالجميع هناك كانوا يتصوّرون طوال الوقت أننا ننشئ قصرًا فى جزيرة (هونولولو) ، ولم يكن ذلك عسيرًا ، ما دمت متكفلين بعمليات نقل المعدات والخامات والعمال .. الوحيد الذى يعرف الحقيقة سواى هو طيّار الهليوكوبتر (جاك) .

ابتسمت قائلة :

- عظيم .

ولوّحت له بيدها ، وهو يستقل الهليوكوبتر ، التى ارتفعت به على الفور ، فقالت (سونيا) لقائد الأمن فى هدوء عجيب ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

- أخبر الرجال أننا سنختبر الآن وسائل الدفاع الجوية والبحرية .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة وحشية متفهمة ، وهو يقول :

- كما تأمرين ياسيدتى .

وفى الهليوكوبتر ، كان المهندس شديد السعادة

والمرح ، وهو يقول للطيَّار :

ـ إننى لم أر فى حياتى كلها ، من هى أكثر كرمًا وسخاءً يا (جاك) .. تصوَّر .. لقد منحتنى شيكًا بنصف مليون دولار ، وهذا يعنى أن مكافأتى ستتجاوز المائتى ألف دولار ، بعد تسوية مصاريف الإنشاء والتجهيز .

قال (جاك) فى لهفة :

ـ وماذا عن مكافأتى أنا يا مستر (مارك) ؟

عقد (مارك) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ إنك تتقاضى أجرًا باهظًا بالفعل يا (جاك) و ...

قاطعته شهقة قوية من (جاك) ، الذى حدَّق فى المحيط أسفله بذهول ، فالتفت (مارك) إلى حيث ينظر ، وهو يقول فى انزعاج :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

واتسعت عيناه فى هلع ، عندما وقع بصره على ما أفزع (جاك) ، فقد كان هناك خطان واضحان تحت الماء ، يتحركان بسرعة كبيرة من الجزيرة ، فى اتجاه السفينة ، التى تحمل كل عمال البناء الذين شيَّدوا القلعة ..

ولم يكن من العسير تمييز طبيعتهما ..

كانا طوربيدين حربيين شديدى التفجير ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، وقبل أن يُعلِّق (مارك)

بحرف واحد ، أصاب الطوربيدان السفينة ، و ..

وكان الانفجار رهيبًا ..

انفجار هائل ، أطاح بالسفينة وكل من عليها فى لحظات ، وحوَّل ما تبقى منها إلى كتلة من النيران واللهب ، راحت تغرق فى بطء ، وسط صرخات مفزعة مروِّعة ..

وخفق قلب (مارك) فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ ولكنى لماذا ؟ .. لماذا ؟!

وصاح (جاك) فى ألم :

ـ إنها مذبحة .. مذبحة رهيبة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انتبه إلى ذلك الصاروخ ، الذى انطلق من القلعة نحوه مباشرة ، فصرخ :

ـ إنهم يستهدفوننا أيضًا .

اتسعت عينا (مارك) فى رعب هائل ، وتشبث بمقعده ، وهو يتمتم :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟..

ظلَّ يكرِّر التساؤل فى ذعر وارتياع ، فى حين انحرف (جاك) بالهليوكوبتر ، وانخفض بها ، ودار ، وناور ، وراوغ ..

ولكن ذلك الصاروخ ظل يطارده ويتبعه فى إصرار ،

فصرخ مرددًا نفس كلمة (مارك) :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

ولم يكد ينطقها ، حتى اخترق الصاروخ الهليكوبتر ، ونسفها نسفًا ، وراحت شظاياها تهوى على مساحة واسعة ، فى مياه المحيط ، وتمتزج بجثث القتلى والمصابين من عمال البناء ..

وفى القلعة ، ابتسمت (سونيا) فى ظفر ، دون أن تهتز فى جسدها شعرة واحدة ، لتلك المذبحة الوحشية الرهيبة ..

لقد حققت هدفها . الذى خطّطت له منذ البداية ، وحافظت على سر وكرها الشيطانى الجديد ، الذى ستنطلق منه للسيطرة على العالم ..

وكر الأفعى ..

* * *

٤ ـ روما ..

وصلت (منى) إلى روما فى الواحدة والنصف صباحًا ، ولم تكد تغادر مبنى المطار ، حتى اقترب منها شاب يرتدى زى السائقين ، وهتف بها بالإيطالية ، وهو يلوّح بكفيه بصورة مبالغة :

ـ مرحبًا بك فى (روما) يا سنيورا .. هل رأيت كم هو جميل ليلنا ؟..

أراهن أنك متعجلة للذهاب إلى أقرب فندق ، من فنادق النجوم الخمسة .

قالت فى هدوء ، وبلغة إنجليزية سليمة :

ـ كلا .. إننى أفضّل الفنادق البعيدة ، وخاصة فى فصل الشتاء .

ابتسم وهو يقول :

ـ ما رأيك فى شقة تطل على البرج مباشرة ؟

قالت فى هدوء :

ـ لا بأس .. لو أنها تحوى مكواة كهربائية .

وهنا انحنى الشاب يلتقط حقيبتها الوحيدة ، ووضعها فى حقيبة سيارة الأجرة ، التى تقف على مقربة منه ، ثم

فتح لها باب السيارة الخلفى ، وهو يقول بصوت مرتفع ، ولكنة يمتاز بها سكان (نابولى) :

ـ تفضلي يا سيدتى .. ستجدين كل الراحة والتعاون مع (ماريو) .

ولم يكد ينطلق بالسيارة ، حتى اختفت لغته الإيطالية بلكنتها المميزة ، وقال بلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة :

ـ هل كانت رحلتك إلى هنا مريحة يا سيادة الرائد ؟

ابتسمت (منى) ، وغمغمت :

ـ نعم .. لقد بدأت كذلك ، وكل ما أتمناه أن تنتهى على النحو نفسه .

ثم اعتدلت تسأله :

ـ هل أعددتم كل شيء ؟

أجابها فى بساطة :

ـ نعم .. لقد استأجرنا شقة باسم (ناديا فورستر) ، وأشعنا أنها مؤلفة أمريكية ناشئة ، حضرت إلى (روما) لتحظى ببعض العزلة والهدوء ، استعدادًا لوضع مؤلفها الجديد .. وستجدين فى الشقة كل ما يلزم .. الأسلحة والمعدات والـ ...

قاطعته فى اهتمام بالغ :

ـ وماذا عن مطعم (لويجى) ؟

هزّ رأسه ، وهو يجيب :

ـ لم يكن لدينا الوقت لجمع معلومات كافية عنه ، ولكنه مطعم صغير ، فى شارع (لاتوّتا) ، يديره شاب إيطالى ، هو (أنطونيو لويجى) ، وهو رياضى سابق ، نال بعض الجوائز فى مسابقات محلية للملاكمة ، ورفع الأثقال ، وهناك إشارات إلى أن المطعم تحت حماية (المافيا) ، وهذا لا يحدث عادة إلا لو كان صاحبه يؤدى بعض الخدمات لتلك المنظمة الإجرامية ، أو يدفع إتاوة منتظمة لها .

سألته (منى) :

ـ ألم تعرفوا ماذا يفعل بالمعلومات ، التى تصله من (القاهرة) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بعد .. ولكنه يعتزل فى حجرة صغيرة ملحقة بالمطعم ، فور تلقيه رسالة المعلومات ، ولا أحد يعلم ما الذى يفعله فيها ، ولا محتوياتها بالضبط ، فدخولها محظور على الجميع مهما كانت الأسباب ، وهو يقوم بتنظيفها بنفسه ، ويغلقها برتاج خاص ، مزوّد بجهاز إنذار إليكترونى حديث للغاية .

عقدت حاجبيها مفكرة بضع لحظات ، قبل أن تسأل :

- وماذا عن المعلومات العامة عنه ؟.. إننى أجهل حتى هيئته .

ابتسم وهو يجيب :

- لن تشرق الشمس إلا وتكون لديك فكرة تامة عن كل ما يخصه ، منذ مولده وحتى الآن .

وكان محقًا فى عبارته الأخيرة ..

لقد قضت الليل بطوله فى مراجعة الملف الذى أحضروه لها عن (أنطونيو لويجى) ، ومشاهدة بعض الشرائح الملوّنة له ، حتى أشرقت الشمس ، فتثاءبت مغمغمة :

- من الواضح أن المعركة معك لن تكون هينة يا (لويجى) .

ثم تطلّعت إلى ساعتها ، وغمغمت :

- ولكن بعد أن أحصل على قسط من النوم .

استلقت فى فراشها ، وأغمضت عينيها ، وحاولت أن تنام ، إلا أنها لم تنجح فى هذا قط ..

كان هناك قلق مبهم ، يتصاعد فى أعماقها بسرعة ..

صحيح أنها ليست أوّل مهمة ، تخرج إليها بمفردها ، ولكنها كانت تشعر أن هذه المهمة بالذات ، تختلف عن كل أعمالها السابقة ..

إنها فى هذه المرة تطارد شبحًا مجهولًا ، وكيانًا جديدًا

شريرًا ، يضمّ بين صفوفه أفعى شرسة متوحشة ، تحمل اسم (سونيا جراهام) ..

كانت تشعر بكل هذا القلق ، وهى تجهل أن (سونيا) ليست مجرّد مقاتلة بين صفوف تلك المنظمة الجديدة ..

وأنها هى الرأس الكبير ..

رأس الأفعى ..

بل هى الأفعى نفسها ..

وعلى الرغم من أن (منى) كانت تجهل هذه الحقيقة ، أو تعجز عن استيعابها وتصديقها ، إلا أنها لم يغمض لها جفن قط ، حتى أشارت عقارب ساعة يدها إلى العاشرة والنصف صباحًا ، فزفرت فى ضيق ، وهى تقول :

- فليكن يا (منى) .. ليس من المقدّر لك أن تنعمى بالنوم ، قبل لقاء هذا الـ (أنطونيو لويجى) .

تنهّدت مرة أخرى ، وارتدت ثيابها ، وألقت نظرة محنقة على جفونها المنتفخة فى المرآة ، ثم فحصت خزانة الأسلحة ، وانتقت منها مسدسًا خفيف الوزن ، صغير الحجم ، ألقته فى حقيبتها ، وغادرت المنزل ، واستقلت السيارة الصغيرة التى استأجرتها المخابرات المصرية باسم (ناديا فورستر) ، وانطلقت إلى مطعم (لويجى) ..

كان المطعم صغيرًا متواضعًا بالفعل ، وجلست (منى) فى سيارتها بعض الوقت ، عند الرصيف المقابل له ، تراقبه فى اهتمام ، وتراقب (لويجى) ، الذى بدا من خلف الواجهة الزجاجية ، وهو يتحرّك فيه بنشاط جم ، على الرغم من بدانته الملحوظة ، ويوزع ابتساماته وعباراته المرحة على الحاضرين ، ثم يعود إلى مقعده ، فى ركن الملهى ، ليحصى النقود أو يصدر أمرًا لأحد معاونيه ، أو لطباخ المطعم النحيل ، العصبى باستمرار ..

وهزّت (منى) رأسها ، وهى تقول :

ـ من العدل أن تعترف بأن اختيار هذا المكان لتلقى المعلومات وإرسالها ، هو لمحة عبقرية تستحق الإعجاب ، فمن المستحيل أن يشك مخلوق واحد ، فى أن هذا المطعم الصغير ، وذلك الشاب البدين المرح ، هما واجهة لمنظمة جاسوسية إرهابية خطيرة .

وقضت لحظات أخرى فى مراقبة المكان ، ثم تطلّعت إلى ساعتها مغمغمة :

ـ حان الوقت المناسب :

وغادرت سيارتها ، واتجهت مباشرة إلى المطعم ، فاتخذت مائدة فى أحد أركانه ، وطلبت شطيرة من الجبن وقدحًا من القهوة ، وجلست ترتشف القهوة فى بطء ،

وهى تلقى نظرة على ساعة يدها ، بين الحين والآخر ، حتى وصل ساعى البريد ، وسلّم (أنطونيو) رسالة من (مصر) ، استقبلها هذا الأخير بلهفة لم يستطع أو يحاول إخفاءها ، فتمتمت (منى) لنفسها :

ـ رجالنا يستحقون الإعجاب بالفعل .. لقد أحسنوا تقدير وقت وصول الخطاب بدقة مدهشة .

أما (أنطونيو) ، فقد لوّح بالخطاب فى وجوه الحاضرين ، وهو يقول فى مرح :

ـ ما زال حبى القديم مشتعلًا ، على ضفاف النيل .

شاركه بعض الحاضرين ضحكاته ، ونهض هو فى لهفة ، مستطردًا :

ـ والخطابات الغرامية تحتاج إلى خلوة .. أليس كذلك ؟

قالها ولوّح بيده ، وهو يتجه إلى حجرته الخاصة ، و ...

وهنا نهضت (منى) ، قائلة فى غضب بالانجليزية :

ـ هذه الشطيرة فاسدة .

سألتها مضيفة المطعم فى دهشة :

ـ أية شطيرة ؟

لوّحت بذراعها فى حدة :

ـ شطيرة الجبن هذه .. أنا أعرفكم أيها الإيطاليون ..

إنكم تعشقون الغش والخداع والتدليس ، ولكنني لن أقبل هذا قط .. سأشكو لمدير المطعم .. أين هو ؟

كان (أنطونيو) ، في هذه اللحظة ، قد دلف إلى حجرته الخاصة ، ويهمّ بإغلاقها ، عندما اندفعت (منى) نحوها ، وهي تهتف متظاهرة بالغضب :

ـ أنا أعلم أين هو .. لقد رأيته يدخل إلى هذه الحجرة .

اتسعت عيون العاملين في دهشة وذعر ، وأسرع بعضهم يحاول منعها ، ولكنها كانت قد بلغت الحجرة بالفعل ، وقفزت إلى رتاجها ، قبل أن يغلقه (أنطونيو) ، ودفعته هاتفة :

ـ أين أنت يا صاحب المطعم ؟.. تعال لتفسّر لي ماتفعلونه بزبائنكم .

ارتفع حاجبا (أنطونيو) في ذعر ، عندما رآها تقتحم حجرته الخاصة على هذا النحو ، فقفز يدفعها خارجها ، وهو يقول :

ـ هذا المكان محظور يا سيّدتي .

ولكنها ألقت نظرة سريعة شاملة على الحجرة الصغيرة ، قبل أن تغادرها وهي تواصل تظاهرها بالغضب ، صائحة :

ـ محظور أو غير محظور .. هذا لا يعنيني بشيء .. إنني أريد حقي .

فقفز يدفعها خارجها ، وهو يقول :

ـ هذا المكان محظور يا سيدتي .

دفعها فى خشونة ، وانضمّ إليه اثنان من عمّال المطعم ، جذباها فى غلظة ، و (أنطونيو) يقول :

ـ وما هو حقك هذا بالضبط ؟

قالت فى حدة بدت طبيعية للغاية :

ـ لقد أعطونى شريحة جبن فاسدة .

أجابها فى عصبية :

ـ هذا مستحيل .. إننا نصنع الجبن بأنفسنا ، وهو طازج دائمًا .

صاحت :

ـ إلا ما تحتويه شطيرتى .

قال فى توتر بالغ :

ـ فليكن .. سنفترض أنك على حق ، وسنمنحك شطيرة أخرى ، على الرغم من أننى أؤكد لك أن ...

قاطعته فى غضب أحسنت تمثيله :

ـ شطيرة أخرى ؟!.. ومن ذا الذى يرغب فى التهام شطيرة أخرى فى هذا المطعم القذر الصغير ؟!

واندفعت نحو حقيبتها ، فاختطفتها من فوق المنضدة ، واندفعت تغادر المكان ، وهى تلقى دولارًا واحدًا خلفها ، مستطردة :

ـ يمكنك أن تعتبرها آخر مرة أرتاد فيها مثل هذه

الأماكن الحقيرة .. وهذا ثمن القهوة وحدها .

التقى حاجبا (أنطونيو) فى شدة ، وهو يتابعها من خلف زجاج الواجهة ، وهى تعبر الشارع ، وتقفز داخل سيارتها ، وتنطلق بها مبتعدة ، ثم التفت إلى زبائنه ، ورسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ هل رأيتم أيها السادة ؟!.. إنه استعراض مثالى للغطرسة الأمريكية الوقحة .

ضحك بعضهم ، وابتسم البعض الآخر ، فلوّح هو بكفه ، وقال مرحًا :

ـ ولكن أفضل ما فينا نحن الإيطاليين ، إننا نتجاهل هذه السخافات ، وننساها فى سرعة ، ونواصل عملنا وكأن شيئًا لم يكن .. هيا أيها السادة .. عودوا إلى طعامكم وشرابكم ، وسيقدّم لكم مطعم (لويجى) أقداح القهوة مجانًا هذا الصباح .

ولم يعد إلى حجرته الخاصة مباشرة ، وإنما جلس على مقعده فى ركن المطعم ، فاقترب منه أحد رجاله ، وهمس :

ـ هل تعتقد أن هذا التصرف طبيعىّ ؟..

هزّ (أنطونيو) رأسه نفيًا ببطء ، فاستطرد الرجل :

ـ لقد ذقت شطيرتها بنفسى .. إنه أطيب جبن صنعناه هذا العام .

أجابه (أنطونيو) هذه المرة :

ـ أنا واثق من هذا .. ثم إننى أتساءل : لماذا أوقفت سيارتها عبر الشارع ، مادام الرصيف المجاور للمطعم خاليًا منذ الصباح ؟..

سأل الرجل فى حيرة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

صمت (أنطونيو) لحظات ، ثم قال :

ـ إننا لن نقفز مباشرة إلى النتائج .. المهم أننى حصلت على رقم سيارتها ، وأريد منك أن تذهب إلى أصدقائنا فى إدارة المرور ، وتحصل على كل المعلومات عنها .. وبأقصى سرعة .

قال الرجل فى حماس :

ـ على الرحب والسعة .

كتب (أنطونيو) الرقم على ورقة صغيرة ، وناوله إياه ، فانطلق الرجل لأداء مهمته على الفور ، فى حين اتجه (أنطونيو) مرة أخرى إلى حجرته الخاصة ، وأغلق رتاجها خلفه فى إحكام ، ثم جلس أمام الجهاز الوحيد بها ، وهو يقول لنفسه :

ـ من الواضح أنك تلعبين لعبة مدروسة أيتها السائحة الأمريكية ، ولكن اللعب مع (أنطونيو لويجى) ينتهى

دائمًا بنتيجة واحدة ، إلا وهى الانتصار الكامل لى ،و ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف بلهجة مخيفة :

ـ والموت للأعداء ..

وعاد إلى جهازه ..

* * *

« كمبيوتر ؟!.. »

هتف الملحق العسكرى المصرى بهذه الكلمة فى دهشة بالغة ، وهو يتطلّع إلى (منى) ، التى أومأت برأسها قائلة :

ـ نعم .. هذا هو كل ما تحويه حجرة (أنطونيو لويجى) الخاصة .. جهاز كمبيوتر حديث للغاية ، من طراز (آى . بى . إم) ، ومقعد وثير ، وهاتف .. إنها وسيلة ذكية للغاية ، فالمعلومات تصل إلى (أنطونيو) بالبريد المسجّل المضمون ، وبشفرة خاصة ، قد لا يفهمها هو نفسه ، وكل ما عليه هو أن ينقل ما وصله إلى الكمبيوتر ، ثم يرسله عبر الهاتف إلى المقر الرئيسى للمنظمة ، حيث يستقبله كمبيوتر آخر ، يقوم بحل الشفرة ، وتخزين المعلومات فى مركز معلومات خاص .

قال الملحق العسكرى فى دهشة :

ـ ولكن هذا عمل منظم وبأرقى مستوى معروف .

أومأت برأسها إيجابًا مرة أخرى ، وهي تقول :

ـ هذه سمة واضحة لمنظمة (سناك) الجديدة ، فكل شيء فيها يسير بنظام شديد وتناسق مثالي ، والتكنولوجيا هي السمة الثانية لها .

مال الملحق العسكري نحوها ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا تصوَّرت أن (لويجي) هذا يجهل الشفرة ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ ربما لأنني أفكر بالأسلوب الذي تعلمناه في عالم المخابرات ، فما دام (أنطونيو لويجي) مجرَّد وسيط ، لاستقبال وإرسال المعلومات ، فلا داعي لأن يعلم شيئًا عن الشفرة .. مجرد إجراء أمني ، يقلِّل من احتمالات كشف الأسرار .

ابتسم وهو يقول في إعجاب :

ـ تفكير منطقي .

ثم اعتدل مستطردًا :

ـ إذن فمهمتك هنا قد نجحت أيتها الرائد .

أجابته في بساطة :

ـ هذا لو أنها تقتصر على الحصول على تلك المعلومة ، فلقد تم الأمر ببساطة مدهشة ، ولكن (القاهرة) وحدها تقرِّر نجاح أو استمرار المهمة ، وهذا ما دفعني لإبلاغك ، بصفتك رئيس مكتبنا في (روما) ، والمطلوب منك الآن

أن تبرق إلى (القاهرة) بما حدث ، وعليهم أن يقرِّروا الخطوة التالية .

ثم ابتسمت مضيفة :

ـ ولو أنني أستطيع استنتاجها إلى حد ما .

سألها في اهتمام :

ـ وما الخطوة التالية في رأيك ؟

أجابت على الفور ، وكأن الجواب كان متأهبًا على طرف لسانها :

ـ معرفة المكان ، الذي يتم إرسال المعلومات إليه .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

ـ أتظنين هذا أمرًا سهلًا ؟

نهضت وهي تجيب :

ـ كلا بالتأكيد .

ثم ابتسمت قبل أن تستطرد :

وإلا فلماذا أرسلوا محترفة مثلي ؟!

ابتسم وهو يقول :

ـ أنت على حق تمامًا .

ثم اعتدل في مقعده ، واستطرد بشكل رسمي أكثر .

ـ حسن أيتها الرائد .. سأبرق إلى (القاهرة) بكل ما حدث ، وسأبلغك ردهم فور وروده .

قالت في هدوء :

- سأنتظر .

وغادرت مبنى السفارة المصرية إلى سيارتها الصغيرة ، وانطلقت بها عائدة إلى شقتها ، دون أن تنتبه إلى ذلك الرجل ، الذى تابع انطلاقتها فى اهتمام بالغ ، ثم غمغم :

- السفارة المصرية .. همم .. هل تحاول هذه الأمريكية الحصول على تأشيرة لسفر إلى (مصر) ، أم ... ؟!

ولم يتم تساؤله ، ولكنه رسم على شفتيه ابتسامة شرسة ، وهو يستطرد :

- أراهن أن هذه المعلومات سترضى سينيور (لويجى) .. سترضيه كثيرًا .

* * *

ارتفع حاجبا (أنطونيو لويجى) فى دهشة ، وهو يهتف :

- مصرية ؟!.. ألنت واثق يا رجل من أنها كذلك ؟!.
أليست أمريكية كما يقول مظهرها وأوراقها ؟!

أجابه مساعده (تيتو) :

- لقد راجعنا كل هذه الأوراق ، بوساطة أصدقائنا فى (المافيا) .. أنت تعلم أن لهم اتصالات قوية في كل مكان فى (إيطاليا) كلها ، وما جمعوه عنها يثير الشك إلى حد كبير ، فجواز سفرها أمريكي ، ولكنها قادمة من (القاهرة) ، فى الساعات الأولى من صباح اليوم ، والعجيب أنها استأجرت السيارة باسمها مساء أمس ،

وكذلك الشقة التى تقطنها .. أى أن كل شيء كان فى استقبالها ، فور أن وضعت قدميها على أرض (روما) .. ولقد بذلنا قصارى جهدنا ، لنعلم اسم الشخص الذى استأجر الشقة والسيارة ، إلا أن كل جهودنا باءت بالفشل ، فاصطحبنا صاحب شركة تأجير السيارات إلى السفارة المصرية ، وجعلناه يشاهد كل موظفيها فى أثناء انصرافهم ، حتى تعرّف أحدهم ، فأسرعنا بجمع المعلومات عنه ، ووجدنا أنه أحد العاملين فى مكتب الملحق العسكرى المصرى بالسفارة .. والأدهى أننا استطعنا التوصل إلى أن تلك الفتاة لم تتقدم حتى بطلب للحصول على تأشيرة مصرية ، بل ولم يرها أحد فى قسم التأشيرات ، وهذا يعني أنها كانت تلتقي بشخص ما فى السفارة ، والأرجح أنه الملحق العسكرى نفسه .

انعقد حاجبا (أنطونيو) فى شدة ، وهو يفكر فى الأمر ، ثم سأل (تيتو) :

- وكيف عثرتم عليها عند السفارة المصرية ؟

ارتسمت على شفتى (تيتو) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

- هذه واحدة من فوائد التعاون مع منظمة قوية وواسعة الانتشار ، مثل (المافيا) .. لقد أبلغت (آلدو مورتى) برقم السيارة ، فأبلغه لكل رجال (المافيا) ، فى طول

(روما) وعرضها ، وطلب منهم البحث عنها ، والإبلاغ عن تحركاتها وموقعها طوال الوقت .

أومأ (أنطونيو) برأسه متفهمًا ، واستغرق في تفكير عميق ، فهمس (تينو) :

ـ هل تفكر فى إبلاغ القيادة فى (نيويورك) ؟

هزَّ (أنطونيو) رأسه نفيًا، وقال :

ـ كلا .. لست أجد داعيًا لهذا .. إننا نعلم الآن أن الفتاة مصرية ، وأنها جاءت خصيصًا لمعرفة ما أخفيه فى حجرتى الخاصة ، وإبلاغ القيادة لن يؤدى إلا لإثارة غضبهم هناك فى (نيويورك) ، وتعرُّضنا للمساءلة والتقريع .. ثم إن الأمر أبسط من هذا كثيرًا .

والتفت إليه يسأله :

ـ لقد حصلتم على عنوانها .. أليس كذلك ؟

ـ أومأ (تينو) برأسه إيجابًا ، وعيناه تتألقان فى جذل ، فتابع (أنطونيو) فى حزم وحشى صارم :

ـ ماذا تنتظر إذن يا رجل ؟.. اقتلوها .

وبرقت عينا (تينو) فى جذل ..

جذل مفترس .

* * *

٥ ـ الصقر ..

وثبت (سونيا جراهام) فى رشاقة أنيقة إلى حوض السباحة ، وغاصت فى الماء البارد بضع لحظات ، ثم ظهرت على السطح ، لتلتقط نفسًا عميقًا ، وتهز رأسها فى قوة ، فيتطاير شعرها الأشقر الناعم حوله ، ناثرًا رذاذًا باردًا لمساحة واسعة ، قبل أن تدفع هى جسدها المتناسق إلى الأمام وتسبح بطول الحمام فى مرونة ومهارة تستحقان الإعجاب ..

كانت تشعر بالانتعاش مع الماء البارد ، حتى أنها جعلت السباحة جزءًا من نشاطها اليومى ، فتمارسها فى ساعة مبكرة من الصباح ، قبل أن تبدأ أعمالها المعتادة ..

وفى ذلك الصباح بالذات شعرت بحنين إلى ابنها ، فهتفت بمربيته :

ـ أين الصغير ؟!

غابت المربية دقائق ، وعادت تحمل الصغير ، الذى أطلق ضحكات مرحة ، ولوَّح بذراعيه ، وهو ينادى أمه ، ويعلن رغبته فى اللعب معها فى حوض السباحة ، فمدَّت (سونيا) يديها إلى المربية ، قائلة :

ـ هاتيه .
ترددت المربية لحظة ، قبل أن تقول :
ـ ولكن الصغير استيقظ على التو ، والماء بارد ، و ...
قاطعتها (سونيا) فى صرامة مخيفة :
ـ أعطينى الصغير .
زفرت المربية فى توتر ، ولكنها ناولتها إياه صاغرة ، فنضت عنه (سونيا) ثيابه ، ثم وضعته فى الماء ، فانتفض جسده فى عنف ، وأطلق صرخة صغيرة ، ثم انفجر باكيًا ، فاحتوته بذراعيها وهى تهمس :
ـ لا يا صغيرى .. لا تجعل الماء يفزعك هكذا .. ينبغى أن تعتاد هذه التغيرات المفاجئة .. هذا جزء من شخصيتك ، التى أسعى لتكوينها .
عبّر الصغير عن ذعره بكلمات متآكلة مدغمة ، تتناسب مع عمره ، فابتسمت (سونيا) ، وقالت :
ـ كلا .. لن أقبل اعتذارات .. إنك ستنمو قويًا صلبًا ، مثلما فعل والدك .. أريد أن تصبح أكثر قوة ومهارة منه ، عندما تبلغ العشرين فحسب .. لقد وضعت برنامجًا خاصًا لتدريبك ، مع إتمامك العام الثانى من عمرك .. ولن تبلغ الخامسة ، حتى تكون قد أجدت لغتين على الأقل .. العربية والإنجليزية ، واكتسبت عددًا من المهارات

البسيطة ، التى لن تلبث أن تتحوّل إلى قدرات خرافية ، مع استمرارك فى المران والتفوق .. سأجعل منك يومًا نسخة متطوّرة من والدك ، باستثناء أمر واحد .
وانعقد حاجباها فى صرامة ، وهى تضيف :
ـ الانتماء .
تطلع إليها الصغير بنظرة خاوية ، وزال خوفه من الماء إلى حد كبير ، بعد أن اعتاد جسده برودته ، فبدأ يضرب سطحه بكفه الصغيرة فى شىء من المرح ، و (سونيا) تتابع بلهجة ملؤها المقت والكراهية :
ـ إنك لن تنتمى قط إلى (مصر) .. بل ستبغضها كل البغض .. وستبغض كل ما ينتمى إلى العالم العربى كله بأية صلة .. وربما تميل بعض الشىء إلى (إسرائيل) والإسرائيليين ، ولكنك لن تنتمى إليهم أيضًا .. ولا إلى أية جهة أخرى .. لن تنتمى إلا للشخص الوحيد ، الذى يمكنك أن تثق به ثقة مطلقة .. أنت .
مع آخر حروف كلماتها ، جاء خادمها الزنجى ، وانحنى أمامها فى احترام ، وهو يقول :
ـ سيّدتى . هناك رجل يطلب مقابلتك ، ويؤكد أنه على موعد معك ، فى هذه الساعة المبكّرة .
التفتت إليه بكل كيانها واهتمامها ، وهى تسأله :

- هل أخبرك باسمه ؟

هزّ الخادم رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا يا سيدتي ، ولكنه طلب منى أن أخبرك أن الجليد يذوب بسرعة فى الشرق .

تألقت عينا (سونيا) ، وكأنها كانت تنتظر سماع هذه العبارة بالذات ، وقالت :

- أحضره إلى هنا .

انحنى الخادم مرة أخرى ، وانصرف لإحضار الزائر ، فى حين التفتت (سونيا) إلى صغيرها ، وقالت :

- معذرة يا صغيرى .. سنواصل حديثنا فى مرة قادمة ، فأمك تستعد الآن لضربتها الكبرى ، التى ستجعل منها إمبراطورة ، على قمة العالم .

وأشارت إلى المربية ، ورفعت الصغير لتناولها إياه ، ولكنه تشبث بها ، وهتف باسمها وهو يبكى ، فابتسمت المربية ، وتصورت أن موجة الحنان ، التى وجدت طريقها اليوم إلى قلب (سونيا) ، سيمنعها من التخلى عن ابنها ، الذى يرغب فى البقاء معها قليلًا ، ولكنها وجدتها تقول فى صرامة :

- فلنت فيما بعد يا صغيرى .. خذيه .

التقطت المربية الصغير ، وأسرعت تحيط جسده

بمنشفة كبيرة ، فى حين تسلقت (سونيا) السلّم الصغير ، فى جانب حوض السباحة ، وصعدت إلى السطح ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها زائرها إليها ..

كان رجلًا طويل القامة ، أصلع الرأس تمامًا ، رياضى القوام ، بارد الملامح ، صارم النظرات ، يرتدى حلة غالية الثمن ، ولكنها لا تبدو متناسقة أو أنيقة ..

ولقد توقف عند مدخل قاعة السباحة المفتوحة ، وهو يتطلع فى انبهار مكتوم إلى (سونيا) ، وهى تغادر حوض السباحة بجمالها المبهر ، وقوامها المتناسق ، وثوب الاستحمام الصغير ، وبدا له أنه لم ير فى حياته كلها ، على الرغم من علاقاته النسائية المتعددة ، من تفوقها حسنًا وفتنة وجمالًا ..

وعلى الرغم من ملامحه الباردة ، التى أخفت تسعين فى المائة من مشاعره وانفعالاته ، إلا أن (سونيا) لاحظت بخبرتها الطويلة ماحاول إخفاءه ، وابتسمت فى داخلها بثقة وسخرية ، وتعمدت أن تطيل فترة تجاهلها له ، وهى تتظاهر بعدم ملاحظته ، وتجفف جسدها بمنشفة كبيرة ، ثم ترتدى معطف استحمام قصيرًا ، وتلتفت إليه ، قائلة بأكثر ابتساماتها جاذبية ، وأفضل نبرات صوتها إثارة :

- مرحبًا .

بقى هو صامتًا لحظة ، ثم سيطر على مشاعره فى سرعة ، وشد قامته الرياضية فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ لقد جئت طبقًا للموعد .

أجابته بصوت ناعم كالفحيح :

ـ ويسعدنى أن استقبلك فى قصرى المتواضع .

عقد حاجبيه مع عبارتها ، ولم يرق له أن تصف ذلك القصر المبهر بأنه متواضع ، فحتى رؤساء روسيا لا يحلمون بمثل هذه الجنة من حيث أتى ، ولكنه لم يفصح عن مشاعره هذه ، (وسونيا) تهز شعرها الأشقر الجميل ، لتنفض عنه ما تبقى من قطرات المياه ، ثم تتجه إليه لتصافحه قائلة :

ـ (جوان آرثر) .

ـ أجابها فى اقتضاب :

ـ (ميلانوفيتش) .

أشعلت سيجارتها ، وهى تقول بابتسامة ماكرة :

ـ (ألكسى ميلانوفيتش) .. فى التاسعة والأربعين من العمر .. مدير قسم التسليح المتطوّر ، فى الجيش السوفيتى السابق ، والمتقاعد حاليًا .

وازدادت ابتسامتها خبثًا ، وهى تضيف فى خفوت :

ـ على الرغم منه .

شعر بالغضب لهذه الإضافة ، وعقد حاجبيه فى قوة ، قائلًا :

ـ لن يمكنهم التخلى عنى طويلًا ، فأنا الوحيد الذى ..

قاطعته بإشارة من يدها ، وهى تقول :

ـ لست أميل إلى مناقشة هذه التعقيدات السياسية ، فهى تثير إما الملل أو الحنق .

ثم أشارت إلى حجرة مكتبها ، مستطردة فى سرعة ، قبل أن يجد الوقت للمناقشة أو التعليق :

ـ ما رأيك لو تحدثنا فى مكتبى ؟

بدا محنقًا لحظة ، إلا أنه لم يلبث أن غمغم :

ـ لا بأس .

قادته فى هدوء إلى حجرة المكتب ، التى تطلّ على حوض السباحة ، ودعته إلى الجلوس على الأريكة الوثيرة ، التى تواجه المشهد تمامًا ، وهى تقول :

ـ هل تمنحنى بضع دقائق لاستبدال ثيابى هذه ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فابتسمت فى جاذبية ، وهى تغادر المكان ، وتركته وحده فى حجرة مكتبها ، يدير عينيه فى المكان فى حذر وفضول ، ثم لم يلبث أن نهض ، وراح يتطلّع إلى عشرات الصور ، التى اكتظت بها جدران الحجرة ، والتقى حاجباه مرة أخرى فى توتر ..

كانت مجموعة الصور الضوئية تمثل (سونيا) ، في أبهى صورها ، بصحبة العشرات من كبار رجال الدولة ونجوم المجتمع ، فهذه الصورة تجمعها بـ (فرانك سيناترا) ، وتلك مع (بيل كلينتون) ، والأخرى مع (فرانسوا ميتران) ، و (يلتسن) ، وعشرات غيرهم ..

وارتفع حاجبا (ألكسى) في انبهار ، دون أن يخالجه الشك في أن كل هذه الصور زائفة ، صنعتها معامل التصوير المتطوّرة ، الملحقة بشركة الإليكترونيات الكبرى في (نيويورك) ، وأن المقصود بوجودها فقط هو أن يصل إلى ما وصل إليه ..

الانبهار ..

واستغرق (ألكسى) في مطالعة الصور ، فلم يشعر بمرور الوقت ، حتى سمع صوت (سونيا) من خلفه ، وهي تقول :

لماذا يلقبونك بـ (الصقر) ؟!

التفت إليها بسرعة ، وكأنما أفزعه صوتها ، أو انتزعه من استغراقه ، ولكن لم يكد بصره يقع عليها ، حتى ارتفع حاجباه في شدة ، واتسعت عيناه في انبهار ، وكاد يهتف :

ـ يا للروعة !

ولكنه كتم الكلمة في حلقه ، وهو يحدّق فيها طويلًا ..

كانت صورة مجسّمة للفتنة والجمال والروعة بالفعل ،

بعد أن ارتدت ثوبًا ورديًا خفيفًا ، وصفّفت شعرها على نحو أنيق ، وغرست فيه زهرة وردية ، تناغمت مع ثوبها في أناقة مدهشة ، ومنحتها مظهرًا ملائكيًا ، يتناقض بشدة مع طبيعتها الشيطانية الشريرة ، التي أخفتها بلمسات بسيطة متقنة من مساحيق وأدوات الزينة ، أضفت عليها جمالًا خاصًا بلا مبالغة ، يكفي لإبهار أكثر الرجال رصانة ووقارًا ..

ولما طال صمت (أليكسي) ، دون أن يجيب ، كرّرت سؤالها بابتسامة واثقة خبيثة :

ـ هناك سبب حتمًا لتلقيبك بـ (الصقر) .

انتفض متخليًا عن انبهاره ، أو مخفيًا إياه في أعماقه ، وهو يقول :

ـ إنني أحمل هذا اللقب منذ ربع القرن .

التقطت علبة سجائرها ، وقدّمت له سيجارة ، ولكنه رفضها بإشارة من يده ، فأشعلت هي واحدة ، ونفثت دخانها قائلة :

ـ أعلم هذا .

رمقها بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ وكيف علمت هذا ؟.. إنه لقب محدود الاستخدام إلى حد كبير ، حتى أن زوجتي نفسها تجهله .

ابتسمت في خبث ، وهي تهز رأسها ، قائلة :

ـ أعلم هذا أيضًا ، ولكنني أعرفه عن طريق اتصالات سابقة ببعض أجهزة المخابرات .. وهذه الاتصالات نفسها هي التي رشحتك للعمل الذي أريده ، ولكنني ما زلت أسأل .. ما سر تسميتك بـ (الصقر) ؟!

صمت لحظات ، محاولًا هضم حديثها ، ثم أجاب في اعتداد :

ـ الرفيق (برجنيف)(*) نفسه هو الذي أطلق عليّ هذا اللقب ، نظرًا لما أتميّز به من صفات ، جعلتني أشبه بالصقر ، فأنا حاد البصر ، سريع الانقضاض ، واضح الهدف ، و ...

قاطعته بسرعة :

ـ فهمت .

لم يرق له أنها منعته من الاستطراد في وصف مهاراته وقدراته ، فأضاف في عصبية :

(*) (ليونيد برجنيف) (١٩٠٦ ـ ١٩٨٢) : رأس الحزب الشيوعي السوفيتي ، من عام ١٩٦٤ م ، وحتى وفاته ، مما جعله أقوى رجل في الاتحاد السوفيتي ، وله فضل زيادة القوة العسكرية السوفيتية ، وهو صاحب قرار غزو أفغانستان ، عام ١٩٧٩ م ، ولكنه بذل أقل القليل من الجهد ، لعلاج المشكلة الاقتصادية ، لو أنه أشاح بوجهه عنها ، على وجه الدقة .

ـ باختصار .. كنت فريدًا في مجالي .

منحته ابتسامة ساحرة ، وهي تقول :

ـ ولهذا لجأت إليك أيها (الصقرْ) .

كاد يهتف بكل كيانه :

ـ وأنا رهن إشارتك .

إلا أنه كتم مشاعره في أعماقه ، وهو يسأل :

ـ وماذا تريدين بالتحديد ؟

صبّت كأسين من الخمر ، وناولته كأسه ، فغمغم :

ـ إنني أفضل (الفودكا) .

غمغمت :

ـ إنها كذلك .

ارتشف رشفة من كأسه ، ثم رفع حاجبيه في دهشة ، فأضافت مبتسمة :

ـ (كيبف ـ ٦٠٦) .. (الفودكا) التي تفضّلها بالضبط .. أليس كذلك ؟!

عقد حاجبيه لحظات ، لاذ خلالها بالصمت التام ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وبدا وكأنه قد حسم أمر نفسه تمامًا ، وهو يقول في صرامة :

ـ ما الذي تريدينه مني بالضبط يا سيّدتي ؟

تطلّعت إليه لحظة في صمت ، ثم سألته :

ـ ما رأيك في فكرة السيطرة على العالم أيها (الصقر) ؟
أجاب على الفور :
ـ فكرة سخيفة ..
رفعت حاجبيها في دهشة ، فاستطرد في عزم :
ـ وحماقة مستحيلة ، لا ترد إلا في العقول المختلة المائجة .. إنها تبدو أصلح للفيلم من أفلام ذلك العميل البريطاني المأفون (جيمس بوند)(*) . منها كواقع يمكن تحقيقه .
ابتسمت وهي تضع كأسها جانبًا ، وتسأله :
ـ ألم تتصوّر أبدًا إمكانية تحويل هذه الحماقة إلى حقيقة ؟
هزّ رأسه في صرامة وعنف ، قائلًا :
ـ مطلقًا .
التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تقول :

(★) (جيمس بوند) : واحدة من أنجح الشخصيات ، في عالم روايات الجاسوسية والإثارة والحركة ، ولقد ابتكرها الروائي البريطاني (أيان فليمنج) ، ونشر أولى رواياتها عام ١٩٥٣ م ، باسم (كازينو رويال) ، ولقد تحوّلت إلى سلسلة من الأفلام الحركية الناجحة ، قام ببطولة أشهرها الممثلان البريطانيان (سين كونري) ، و (روجر مور)

ـ أما أنا ، فطالما فعلت .
عقد حاجبيه في شدة ، وهو يتطلع إليها مستنكرا ، في حين برقت عيناها في شراهة عجيبة ، وهي تتابع :
ـ لقد درست الامر من كل جوانبه ، ووجدت بعد سنوات من البحث والدراسة ، أن الفكرة ليست حمقاء كما يبدو ، وإنما هي فكرة عبقرية ، لا تحتاج إلا لعبقري مثلها ، يحسن إعداد خطته ، ويجيد تنفيذها ، فيصبح العالم كله ملك يمينه بضربة واحدة .
بدا الاستنكار وعدم الاقتناع على ملامحه ، وهو يقول :
ـ هذا مستحيل .
هتفت في حماس مباغت :
ـ ليس عندما نتحد معًا .
انعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إليها كما يتطلع إلى أي مجنون بالغ الخطورة ، ولكنها لوّحت بكفيها بحركة مسرحية ، وهي تقول :
ـ تخيل معي النتائج .. (الصقر) على قمة العالم ستصبح أقوى وأعظم رجل في كل قارات الدنيا ، وستنتقم ممن أبعدوك ، وتثبت للجميع أنك الأصلح منذ البداية .
تعمدت إغفال ذكر اسمها ، وهي تراقب ملامحه ، التي تألقت في طمع ونشوة ، ثم لم تلبث أن انطفأت بغتة ، وهو يقول :
ـ ولكن الحلم ما زال يبدو مستحيلًا

مالت نحوه ، قائلة :
ـ وماذا لو أقنعتك بالعكس ؟
هتف فى لهفة :
ـ ستجديننى رهن إشارتك .
ابتسمت فى ظفر ، وهى تقول :
ـ استمع إلىّ إذن .

وراحت تلقى ما لديها على مسامع (الصقر) ، وتنفث سمومها فى أذنيه ، وهى تسعى لإقناعه بمشاركتها تلك الضربة ، التى خططت لها ، للسيطرة على العالم أجمع .. الضربة القاصمة .

* * *

وراحت تلقى ما لديها على مسامع (الصقر) ، وتنفث سمومها فى أذنيه

٦ ـ لندن ..

انحنى سير (لانسلوت) ، النبيل الإنجليزى الوسيم ، نصف انحناءة ، ليسدّد مضرب الجولف(*) إلى الكرة فى إحكام ، ثم حرّك معصمه حركة سريعة أنيقة ، فأصاب الكرة إصابة متقنة ، دفعتها عدة أمتار إلى الأمام ، لتستقر داخل الحفرة المنشودة ، فاعتدل هو فى زهو ظافر ، وأصوات التصفيق الرصين تعلو من حوله ، ممتزجة بصوت زميله اللورد (وارن) ، وهو يقول بابتسامة مرسومة :

ـ لقد ربحت يا سيد (لانسلوت) .. تهانئى ..

التفت إليه (لانسلوت) ، وقال فى هدوء :

ـ كالمعتاد يا عزيزى اللورد (وارن) .

ثم ناول مضربه لتابعه ، وهو يستطرد فى أناقة :

(*) الجولف : رياضة تمارس فى الخلاء ، باستخدام عصى وكرات خاصة ، على ملعب طوله حوالى ستة آلاف ياردة ، وبه ثمانى عشرة حفرة مختلفة الأبعاد ، تفصلها مسافات تتراوح بين مائة ، وستمائة وخمسين ياردة . ولقد بدأت هذه الرياضة فى (أسكتلندا) ، فى القرن الخامس عشر ، ومنها انتقلت إلى جميع أنحاء العالم ، حيث تقام لها مسابقات عالمية ، للهواة والمحترفين

ـ وهذا يذكرنى بأنك مدين لى بمائة جنيه

أجابه اللورد فى رصانة :

ـ سأمنحك شيكًا بالمبلغ على الفور .

وأخرج دفتر شيكاته من جيبه ، وذيل الشيك بتوقيعه ، ثم ناوله إياه فى اعتداد ، قائلًا :

ـ احرص على أن تنفقه بسرعة ياسير (لانسلوت) قبل أن أسترده منك أضعافًا مضاعفة . فى لقائنا القادم .

ضحك (لانسلوت) وهو يقول :

ـ لا بأس من الأحلام يا عزيزى اللورد (وارن) ، ولكن سير (لانسلوت) سيظل أفضل لاعبى نادى الجولف الملكى ، مادام على قيد الحياة .

ولكن أحد الحاضرين ، قال :

ـ ولكن هل رأيت ذلك الشاب ، الذى كان هنا منذ ساعة واحدة ؟

هتف آخر فى إعجاب واضح :

ـ رباه !.. إنه أبرع من رأيته فى حياتى كلها .

عقد (لانسلوت) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أى شاب هذا ؟

تطلّع الجميع بعضهم إلى بعض ، وكأن كلًّا منهم يبحث عن الجواب على لسان الآخر ، ثم قال أحدهم فى حيرة :

ـ لست أدرى .. إنها أول مرة أراه فيها هنا .

وقال ثانٍ فى حماس :

ـ ولكن فليُقطع ذراعى لو لم يكن أحد أبطال الجولف ، منذ نعومة أظفاره .. لقد شاهدته يضرب الكرة فى خفة ، فيدفعها أربعة أمتار دفعة واحدة ، ويسقطها فى حفرتها ، كما لو أنه ساحر يأمرها فتطيع .

بدت الغيرة على وجه (لانسلوت) ، وهو يغمغم :

ـ لم أر شيئًا كهذا من قبل .

وابتسم اللورد (وارن) ، وهو يقول فى شىء من الشماتة :

ـ يبدو أنك ستلتقى أخيرًا بمن يذل ناصيتك يا سير (لانسلوت) .

هتف (لانسلوت) فى صرامة :

ـ هيهات .

ثم استعاد رصانته فى سرعة ، وهو يستطرد :

ـ ولكن هذا البطل المزعوم لم يتسلل إلى هنا خفية بالتأكيد .. وهناك حتمًا من يعرف هويته .

ـ أجابه أحدهم :

ـ من المؤكد أن (نستور) يعرفه ، فهو المسئول عن العضوية هنا .

لم يضيع سير (لانسلوت) لحظة واحدة ، فقد ذهب مباشرة إلى (نستور) ، وسأله عن ذلك الشاب ، فأجابه هذا الأخير بهدوئه الشهير :

ـ آه .. ذلك الأمريكى .

هتف (لانسلوت) مستنكرًا :

ـ أمريكى ؟!.. ومتى كان نادى الجولف الملكى يسمح بدخول الأمريكيين ؟!

هزّ (نستور) رأسه ، وكأنما يشاركه استنكاره هذا ، وقال :

ـ إنه أمريكى المولد ، ولكنه يحمل الجنسية البريطانية بالتبعية ، فهو ابن الراحل سير (آرثر سبيلمان) ، من زوجة أمريكية .

قال (لانسلوت) فى دهشة واستنكار :

ـ وهل تزوّج سير (سبيلمان) ، أمريكية ؟!

عاد (نستور) يهزّ رأسه ، قبل أن يقول :

ـ كانت مفاجأة لى أيضًا ، ولكن الأوراق التى يحملها ذلك الرجل تؤكد هذا .. ثم أنه ورث بطاقة عضوية والده هنا ، والقواعد تمنعنا من الاعتراض على دخوله .

مطّ (لانسلوت) شفتيه ، وهتف فى ازدراء :

ـ القواعد ؟!.. يا للسخافة !

لم يكد يتم عبارته ، حتى أتى خادمه الخاص (مور) ، وانحنى يهمس بكلمات موجزة فى أذنه ، فعقد حاجبيه ، واستمع إليه فى انتباه كامل ، قبل أن يتمتم :

ـ فليكن .. سألتقى به فى قصرى .

انصرف الخادم بسرعة ، في حين اعتدل (لانسلوت) ، وقال :

ـ حسن يا عزيزي (نستور) .. إنني أشاركك ضيقك من تلك القواعد المجحفة ، ولكنك تعلم مثلي أنهم يحتاجون إلى دهر كامل ، قبل أن يوافقوا على إلغائها أو تعديلها .. المهم أنني متشوق لرؤية ذلك الـ ... الأمريكي .. هل تعرف اسمه ؟

أجابه (نستور) على الفور :

ـ (سبيلمان) .. (روجر سبيلمان) .

مط (لانسلوت) شفتيه ، وهو يتمتم :

ـ (روجر سبيلمان) .. ياله من اسم سخيف !

وغادر نادي الجولف الملكي ، واستقل سيارته ، التي يقودها (مور) ، ولم يكد هذا الأخير ينطلق بها ، حتى سأله (لانسلوت) في اهتمام :

ـ متى وصل ذلك الرجل ؟

أجابه (مور) :

ـ منذ ساعة واحدة ، وقال .. إنه يعلم أن زيارته مفاجئة ، ولكنه يحمل معلومات بالغة الأهمية ، ولقد أبلغوه ضرورة الاتصال بك مباشرة ، في مثل هذه الحالة .

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم في حنق :

ـ معلومات بالغة الأهمية ؟!.. وبهذه السرعة ؟!.. اللعنة !.. لست أدرى كيف نجحت (جوان) في إقناعي بوضع نفسي في فوهة المدفع ، على هذا النحو ؟!

قال (مور) محاولاً تهدئته :

ـ لقد اتبع الرجل كل إجراءات الأمن المتفق عليها ، فوصل إلى (لندن) في الصباح الباكر ، واستأجر شقة متواضعة في حي بسيط ، ثم غادرها مع الظهر ، وبعد أن تأكد من أنه غير مراقب أو متبوع ، واستقل ثلاث سيارات أجرة ، عبر نصف المدينة ، قبل أن يختفي في محطة القطار ، ثم يتسلل منها إلى حافلة عامة ، حملته إلى القصر ، الذي دخله من الباب الخلفي ، بعد إثبات شخصيته ، وتم حمله في سرية تامة إلى حجرة مكتبك الخاصة ، وهو ينتظرك هناك .

غمغم (لانسلوت) مرة أخرى ، وهو معقود الحاجبين :

ـ اللعنة !

ثم لم تلبث ملامحه أن تبدلت فجأة إلى النقيض ، فابتسم في جذل ، وهو يستطرد :

ـ ولكن هكذا لذة المغامرة .. أليس كذلك يا (مور) ؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة متلذذة ، لم تفارقه حتى

بلغ قصره ، وأسرع إلى حجرة مكتبه ، وتوقف عند بابها لحظة ، تطلع خلالها إلى المرآة ، وتأكد من أناقته ووسامته ، ثم فتح باب المكتب ، وتلف إليه ، قائلاً :

ـ مساء الخير أيها المصرى .

ـ وعلى الأثر ، نهض ذلك المصرى لاستقباله ، وهو واضح التوتر والاضطراب ، وقال :

ـ مساء الخير يا سير (لانسلوت) .. معذرة لقدومى على هذا النحو العاجل ، ولكنهم أخبرونى ..

قاطعه (لانسلوت) بإشارة من يده ، وهو يدور ليجلس خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ لا بأس .. دعنا لا نناقش هذا بوضوح .

وأشعل جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامه ، وضغط أزراره بحركة أنيقة ، وهو يستطرد :

ـ قبل أن نتعارف أولاً .

فرك الجالس كفيه فى توتر ملحوظ ، فى حين ارتسمت صورة واضحة له على شاشة الكمبيوتر ، وإلى جوارها لوحة بيانات ، راح سير (لانسلوت) يقرؤها فى هدوء :

ـ اسمك (ناصر خيرى) .. موظف إدارى بالمخابرات العامة المصرية .. تعمل لحساب (سناك) منذ ..

قاطعه (أدهم صبرى) ، الذى ينتحل شخصية (ناصر) ، وهو يقول :

ـ دعنا لا نعلن هذا فى وضوح .

ابتسم (لانسلوت) ، وقال :

ـ لا بأس .. الكمبيوتر هذا جهاز عظيم .. أليس كذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، فتابع (لانسلوت) :

ـ كل التكنولوجيا عظيمة .. إننى أميل إليها كثيرًا فهى تجعلك مواكبًا للعصر ، وأقدر على التعامل مع الآخرين ..

ثم مال نحو (أدهم) مستطردًا ، وهو يغمز بعينه :

ـ ثم إنه لمحة دافئة من عصر بارد .

غمغم (أدهم) :

ـ بالتأكيد .

ظل (لانسلوت) صامتًا ، يتطلع إليه لحظة ، ثم ابتسم فى هدوء ، وتراجع قائلاً :

ـ حسن يا سيد (ناصر) .. ماذا لديك بالضبط ؟

أجابه (أدهم) بلهجة توحى بخطورة الأمر :

ـ لقد كشفوا أمر (سناك) .

خُيِّل إليه أن لهجة (لانسلوت) حملت شيئًا من السخرية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

ولكن (أدهم) واصل ، وكأنه لم يلحظ هذا :

ـ نعم . المصريون كشفوا وجود منظمة (سناك) ، وعرفوا شعارها أيضًا .

ضغط (لانسلوت) زرًّا أمامه ، وهو يقول بابتسامته نصف الساخرة :

ـ وماذا في هذا ؟.. أليس من الطبيعي أن تعلن أية منظمة جديدة عن وجودها ، في لحظة ما .

قال (أدهم) :

ـ الأفضل أن تختار هي لحظة الإعلان هذه .

تطلّع (لانسلوت) إلى شاشة الكمبيوتر ، دون أن تفارقه ابتسامته ، وقال في شيء من الشرود :

ـ بالطبع .

بدا وكأنه يتأمّل شاشته لحظة في اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (أدهم) ، وقال في لهجة بدت جذلة :

ـ وماذا أيضًا ؟

ـ أجابه (أدهم) :

ـ هذا كل مالدي .

أطلق (لانسلوت) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ أتعني أنك سافرت من (القاهرة) إلى (لندن) ، وحضرت إلى قصري مباشرة ، لتنقل إليّ هذه المعلومة فحسب ؟!

عقد (أدهم) حاجبيه ، وتظاهر بالغضب ، وهو يقول :

ـ تصوّرتها بالغة الخطورة .

رفع (لانسلوت) أحد حاجبيه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هكذا ؟!

ثم ضغط زرًّا آخر أمامه ، وقال :

ـ (مور) .. أحضر لنا بعض الشراب المثلّج جدًّا .

واعتدل مواجهًا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ ما رأيك في التكنولوجيا يا سيّد (ناصر) ؟

قال (أدهم) في ضجر :

ـ لقد سبق لك أن أعلنت رأيك بشأنها يا سير (لانسلوت) .

هزّ (لانسلوت) كتفيه ، وقال :

ـ ليس بعد .

ثم أشار إلى حلية تشبه رأس الأسد ، معلّقة فوق مكتبه مباشرة ، وهو يستطرد :

ـ انظر مثلًا .. بين فكي هذا الأسد أضع دائمًا آلة تصوير .. إنها ليست آلة تصوير عادية ، بل هي مزوّدة بمصباح خاص غير مرئي ، للأشعة دون الحمراء .. وهذه الآلة تتصل مباشرة بالكمبيوتر .

ـ أدرك (أدهم) ما يعنيه هذا ، فنهض من مقعده في هدوء ، وهو يقول في صرامة :

ـ والكمبيوتر يعمل على تحليل الصورة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اقتحم (مور) حجرة المكتب ، وبصحبته خمسة آخرون ، يحملون المدافع الآلية ، ويصوبونها إلى (أدهم) في صرامة ، في حين اتسعت ابتسامة (لانسلوت) ، حتى بدت أشبه بالضحكة ، وهو يقول :

ـ بالضبط يا مستر (أدهم) .. الكمبيوتر يعمل على تحليل الصورة ، بعد أن تنفذ الأشعة دون الحمراء من أقنعة التنكر ، وتكشف الملامح الحقيقية هكذا .

وأدار شاشة الكمبيوتر في مواجهة (أدهم) ، الذي رأى صورته واضحة على الشاشة ، في مشهدين ، أحدهما أمامي والآخر جانبي ، وإلى جوارهما لائحة بكل بياناته ، و (لانسلوت) يتابع في شماتة ظافرة :

ـ ولكن يبدو أن ما يقولونه عنك ليس صحيحًا تمامًا يامستر (أدهم) ، فالإيقاع بك لم يكن بالصعوبة المتصوَّرة .. سأبلغ (جوان) بهذا على الفور ، لتعلم من هو سير (لانسلوت) ، الذي ضمته إلى منظمتها الجديدة .

فجرت عبارته الأخيرة كل مشاعر وانفعالات (أدهم) ، وخاصة مع ذكر اسم (جوان) ..

صحيح أن (أدهم) لم يكن يعلم أن (سونيا) تحمل حاليًا اسم (جوان آرثر) ، ولكنه أدرك أن الإشارة إلى أنثى ..

أية أنثى ، في هذه المهمة ، ستعني أنها (سونيا) ، بنسبة خمسة وتسعين في المائة ، إلى أن يثبت العكس ..

وفي حزم مخيف ، شد (أدهم) قامته ، وانتزع قناع (ناصر) عن وجهه ، وهو يقول :

ـ لقد صدقت من الجزء الأوَّل من حديثك يا سير (لانسلوت) ... أنا لست ذلك الخائن (ناصر خيري) .. أما بالنسبة للجزء الثاني من الحديث ..

ووثب فجأة ليعبر المكتب بقفزة واحدة ، ودار حول جسد (لانسلوت) في رشاقة مدهشة ، وأحاط عنقه بذراعه ، واختطف فتاحة الخطابات من سطح المكتب ، ليضع طرفها الحاد على عنق (لانسلوت) ، قائلًا :

ـ فلست أعتقد أن الإيقاع بي سهل إلى هذا الحد .

وأدهشه بحق أن أجابه سير (لانسلوت) في سخرية عجيبة :

ـ هل تظن هذا ؟

ثم صاح في حسم :

ـ أطلقوا النار يا رجال .

لم يكن (أدهم) يتصوَّر أبدًا أنهم سيطلقون النار على رئيسهم ، ولكن فوجئ بهم يصوبون مدافعهم الآلية ، ويطلقونها بلا تردد ..

وتأوّه (لانسلوت) ، عندما اخترقت الرصاصات جسده ، وشعر (أدهم) بآلام مبرحة فى عنقه وذراعه وكتفه ..

ودارت الحجرة كلها أمام عينيه ، وترنّح لحظة ، ولكنه تشبّث أكثر بجسد (لانسلوت) ، إلا أن الظلام أحاط به فجأة ، فأدرك أنها النهاية بالفعل هذه المرة ، و ...

وسقط (رجل المستحيل) ..

وأظلمت الدنيا تمامًا .

* * *

٧ ـ غشاوة سوداء ..

راجع مدير المخابرات العامة المصرية تلك البرقية ، الواردة من السفارة المصرية فى (روما) ، ووضعها على سطح مكتبه ، وهو يقول لنائبه :

ـ ما رأيك فيما جاء من (روما) ؟

أجابه نائبه فى اهتمام :

ـ لقد نجحت الرائد (منى توفيق) فى هذه الخطوة بسرعة ممتازة ، ولكن هل من الأصلح أن ننتظر لتحاول معرفة الرقم ، الذى يتصل بالكمبيوتر ؟

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أعتقد هذا .

أجاب النائب :

ـ ولا أنا .. لقد أدت هى الجزء المطلوب منها ، ومن المؤكد أنه سيثير شكوك (أنطونيو لويجى) ورجاله إلى حد ما ، واستمرارها فى العمل قد يعنى كشف أمرها ، وتعرّضها لمخاطر كثيرة .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ويمكننا أن نرسل فريقًا فنيًا ، لتعقب

أسلاك الكمبيوتر والهاتف ، وتحديد الرقم المطلوب .

قال نائبه :

- بالضبط .. بحيث تتفرَّغ الرائد (منى) للمهمة الرئيسية .

ومرة أخرى ، وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، ثم اعتدل خلف مكتبه ، وقال في حزم :

- فليكن .. أرسل برقية للسفارة ، واطلب من الملحق العسكرى أن يبلغ (منى) بعدم التدخل فى هذه المهمة الفرعية مرة أخرى ، وتستقل أوَّل طائرة فى الصباح الباكر إلى (نيويورك) ، لتلحق بـ (حسام) ، وتبدأ المهمة الأساسية بأقصى سرعة .

نهض النائب ، وهو يقول :

- سأرسلها على الفور يا سيِّدى ، ولنأمل أن تصل إلى الرَّائد (منى) ، قبل أن تتورَّط فى المزيد من المخاطر ..

- نعم يانائب المدير ..

دعنا نأمل هذا ..

★ ★ ★

ارتدت (منى) سروالًا أمريكيًا بسيطًا (جينز) ، وسترة من النوع نفسه ، وقميصًا أزرق اللون ، وعقصت شعرها خلف رأسها فى بساطة ، وتأمَّلت نفسها لحظة فى

المرآة ، قبل أن تغادر المنزل مغمغمة :

- أعتقد أن هذا يناسب جولة مسائية سريعة يا (منى) .

كانت تشعر بالملل من البقاء وحدها ، فى انتظار برقية الإدارة ، فقرَّرت أن تخرج فى نزهة قصيرة ، فى شوارع (روما) المجاورة ، ثم تعود إلى المنزل وقد استعادت نشاطها ..

وبدت لها (روما) ، فى الليل ، أشبه بـ (القاهرة) ..

نفس الزحام ، والنشاط ، والحركة الدائبة ، والإعلانات المضيئة ، وبائعو المرطبات ولعب الأطفال ، والمأكولات البسيطة ..

وابتسمت (منى) ، وهى تجوَّل ، فى المنطقة ، وغمغمت :

- وكأنك فى قلب (القاهرة) يا (منى) .

شعرت فجأة بيد تمسك كتفها ، مع صوت متهالك ، يقول بالإيطالية :

- ساعدينى يابنيتى .

استدارت تتطلَّع إلى عجوز متهالكة ، متغضِّنة الوجه ، تشبَّثت بكتفها ، مستطردة :

- عاونونى للوصول إلى منزلى .

استدارت تتطلع إلى عجوز متهالكة ، محنية الوجه ، تشبثت بكتفها ، مستطردة ـ عاونيني للوصول إلى منزلي ..

لم تكن (منى) تفهم الكثير من الإيطالية ، ولكنها أدركت ما تطلبه العجوز ، فغمغمت بإيطالية ركيكة :

ـ ولكنني لست خبيرة بالطرق هنا يا أماه .. أنا سائحة أمريكية ، و ...

قاطعتها العجوز :

ـ سأرشدك يا بنيتي .. أريد من أتوكأ عليه فحسب .

ابتسمت (منى) مشفقة ، وهي تقول :

ـ ليس لدي ما يمنع ، في هذه الحالة .

استدارت العجوز إليها ، وراحت ترشدها إلى طرق جانبية ، وهي تسرف في الحديث عن زوجها الراحل ، وأبنائها الذين انشغلوا بأعمالهم ، وتركوها تعاني الأمرّين ، و (منى) تستمع إليها في صبر ، وتمنحها ابتسامة مشفقة ودودًا ، حتى ابتعدا كثيرًا عن الطرق الرئيسية ، وغاصا في مناطق نصف مظلمة ، يخيم عليها الصمت والسكون ، وهنا قالت العجوز :

ـ لقد وصلنا يابنيتي .

ثم دفعت (منى) جانبًا ، وتراجعت في نشاط مدهش .. وانعقد حاجبا (منى) في دهشة ، وهي تحدق في تلك الابتسامة الخبيثة الساخرة ، التي ارتسمت على وجه العجوز ، مع نظرة شامتة متهكمة ..

•

وفجأة اتضحت الصورة كلها ..

لقد خرج من المنازل المحيطة بها ستة من الشبان الأقوياء ، وكل منهم يحمل هراوة ثقيلة ، تنتهي ببروزات معدنية حادة ، وارتسمت على شفاههم ابتسامات ساخرة ، وكبيرهم يقول متهكمًا :

- مرحبًا أيتها السائحة الأمريكية الجميلة .. نسينا أن نخبرك أننا هنا نهوى تحويل السائحين إلى لحم مفرى بالدماء الطازجة .

قالت (منى) فى توتر :

- لو أنكم تسعون وراء النقود ، فلست أحمل ..

قاطعها الرجل فى سخرية :

- كلا .. إننا نمارس هواية محببة .

ثم صرخ فى وحشية :

- اهجموا يا رجال .

وانقضَّ الوحوش الستة على الحمل الوديع .. على (منى) ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا (أليكسى مولاتوفيتش) فى انبهار ، عندما اقتربت الهليوكوبتر ، التى تقلّه مع (سونيا) ، من جزيرة (هيل) ، وهتف فى انفعال :

- إنها ليست مجرَّد جزيرة .. إنه حصن حقيقى .

رمقته هى بنظرة جانبية ، وهى تقول :

- هل راق لك ؟

هتف بسرعة :

- بالتأكيد .

ثم تراجع مستدركًا :

- إنه جيد على أية حال .

ضحكت فى عذوبة ، ومالت نحوه هامسة :

- اعترف أنه ممتاز يا عزيزى (الصقر) .

تسللت رائحتها العطرة إلى أنفه ، ولفحته أنفاسها ، فسرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، وهو يتمتم مستسلمًا :

- نعم .. إنه كذلك .

ابتعدت بابتسامة واثقة ظافرة ، والهليوكوبتر تهبط فى مهبطها الخاص ، ثم قالت :

- هيا أيها (الصقر) ... سأريك مقر الحكم الجديد .

صحبته فى جولة سريعة عبر الأماكن المسموح برؤيتها فى (هيل) ، وبالذات تلك التى زوّدتها بأحدث مبتكرات تكنولوجيا شركتها ، حتى تأكدت من انبهاره التام ، ثم صحبته إلى حجرة مكتبها ، التى بدت أشبه بما نراه فى أفلام الخيال العلمى ، بكل شاشات الرصد فيها ، والتى

تنقل ـ لحظة بلحظة ـ كل مايدور في الجزيرة ، وحولها ، وتحت مياهها ، وأجهزة الكمبيوتر الدقيقة ، ووسائل التهوية ، وغيرها ..

وعندما جلست (سونيا) خلف مكتبها ، كانت واثقة من أنها قد وضعت الغشاوة التي تريدها على عيني (الصقر) ، وأنه صار عجينة لينة بالنسبة لها ، فبادرته قائلة :

ـ والآن ما رأيك فيما عرضته عليك أيها (الصقر) ؟

حدق (أليكسي) في وجهها لحظة ، وكأنه يراها لأول مرة ، ثم انتفض قائلًا :

ـ الفكرة تبدو مغرية ، ولكن تنفيذها ليس هينًا يا مسز (آرثر) .. إنني لم أعد صاحب ذلك المنصب الحساس .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ ولكنك تعرف كل المسئولين هناك .. إنهم ـ لو صح القول ـ تلامذتك .

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ولكن أتظنين أن باستطاعتهم أن يمنحوك ما تريدين ؟

تطلعت إليه لحظة بابتسامة كبيرة ، ثم قالت :

ـ اسمعني جيدًا أيها (الصقر) .. أنت تعلم مثلي ما آل إليه الاتحاد السوفيتي ، بعد انهيار الشيوعية ، وتفككه

على هذا النحو .. لقد ارتفعت الأسعار على نحو مخيف ، وتضاعفت نسبة التضخم في شدة ، وأصبح هناك آلاف يقضون حتفهم جوعًا .. ونصف سكان الاتحاد السوفيتي السابق على استعداد لبيع أبنائهم أنفسهم ، في سبيل وجبة ساخنة دسمة ، أو منزل آمن .. ولا تنكر أن بعض مسئولي التسلح هناك لم يتورعوا عن بيع بعض الأسلحة المتطورة سرًا ، للحصول على نفقات المعيشة اللازمة(*) .

قال الصقر في حزم :

ـ لست أنكر هذا ، ولكن كل الأسلحة التي تم بيعها سرًا ، على الرغم من تطورها وحداثتها ، هي أسلحة تقليدية ، وليست ..

وصمت لحظة ، وهو يرمقها بنظرة عصبية ، قبل أن يستطرد :

ـ وليست رءوسًا نووية .

تجمدت ابتسامتها على شفتيها لحظة ، ثم اعتدلت قائلة :

ـ وكيف تتصور السيطرة على العالم إذن يا عزيزي (الصقر) .. هل تهدده بمفرقعة ، أم تشن عليه حربًا

(*) واقعة حقيقية .

تقليدية ، بالطائرات والدبابات وقاذفات القنابل ؟!.. كلانا يعلم أن سياسة الردع النووى وحدها ، هى القادرة على إخافة الجميع ، وإخضاعهم برغم أنوفهم .

هز رأسه ، قائلًا :

- إنه رأى منطقى ، ولكن ..

قاطعته فى صرامة :

- ولكن ماذا ؟.. كلانا يعلم أيضًا أن الحصول على الرءوس النووية من إمبراطورية متهارة مثل الاتحاد السوفيتى السابق عملية عسيرة ، ولكنها ليست بالمستحيلة ، وخاصة عندما تدفع عشرة ملايين دولار ، مقابل خمسة رءوس نووية فحسب .. هل تعلم ما يعنيه هذا الرقم ، بالنسبة (لبوريس يلتسن) نفسه ؟!(*)

برقت عيناه بشدة ، مع سماع الرقم ، وقال فى لهفة :

- لو أردت رأيى ، فيمكنك الحصول عليها بنصف هذا المبلغ .

(*) (بوريس يلتسن) : رئيس اللجنة المركزية السوفيتية السابق لمدينة (موسكو) ، ورئيس الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠م ، والرئيس الحالى لجمهورية (روسيا) ، ولقد ولد عام ١٩٣٠ م ، وانضم للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٥ م .

لوحت بكفها قائلة :

- ليس هذا من شأنى .. سأمنحك الملايين العشرة مقابل خمسة رءوس نووية صالحة للاستعمال ، ويمكنك أنت أن تبتاعها بالرقم الذى يحلو لك ، حتى ولو اشتريتها كلها بمليون دولار فحسب .

برقت عيناه أكثر وأكثر ، وهبطت غشاوة (سونيا) على عينيه ، وهو يقول وقد استولى عليه الطمع :

- أعتقد أن خطتك معقولة يا مسز (آرثر) .. خمس رءوس نووية يتم توزيعها بشكل مدروس ، تكفى لإخضاع العالم كله .

أومأت برأسها مؤيدة ، وهى تقول :

- بالتأكيد .. قنبلتان فى (أمريكا) ، وواحدة فى قلب (أوروبا) ، وأخرى فى (القاهرة) ، والخامسة فى (اليابان) ، أو (الهند الصينية) .. كيف يقاومك العالم عندئذ ؟!

هتف فى حماس :

- لن يجرؤ مخلوق واحد على هذا .

ابتسمت وقد أدركت أنها بلغت ما تسعى إليه ، وقالت فى خفوت :

- أرأيت ؟

ولكنه تراجع بسرعة وهو يقول بقلق :

- ولكن ماذا عن (روسيا) ؟

لوّحت بكفها قائلة في حماس مدروس :

– لن تمسّها بأدنى سوء بالتأكيد .

بدا عليه الارتياح ، وهو يغمغم :

– عظيم .

نهضت تلتقط زجاجة من البار الصغير الملحق بمكتبها ، وهي تقول :

– مرة أخرى (كييف ـ ٦٠٦) .

وصبّت كأسًا من (الفودكا) لها ، وناولته أخرى ، وهي تقول ..

– نخب اللبنة الأولى ، في خطة السيطرة على العالم .

نهض (أليكسي) في حماس ، وهو يقول :

– بل نخب جميلة الجميلات .. إمبراطورة العالم المقبلة .

لم يدر لحظتها ، وهو يضرب كأسه بكأسها ، ويستمع إلى رنينهما ، أن (سونيا) قد جعلت منه مطية ، في طريق طموحاتها اللا محدودة ..

صحيح أنه ظل يحمل لقب (الصقر) ، ولكنه لم يعد صقرًا عاديًا .

لقد صار لقبه الجديد يرتبط بتلك الغشاوة ، التي انسدلت على عينيه ، ولم يعد يرى معها الحقائق في وضوح ..

لقب (الصقر الأعمى) .

* * *

٨ ـ أمريكا ..

« قائد الطائرة يهنئكم بسلامة الوصول إلى (نيويورك) ، ويتمنى لكم إقامة طيبة فيها .. وأرجو منكم ربط أحزمة مقاعدكم ، والامتناع عن التدخين ، استعدادًا للهبوط » .

فتح (حسام) عينيه ، مع ذلك النداء ، الذي تردّد داخل الطائرة ، فاعتدل في مجلسه ، وربط حزام مقعده ، وتطلّع عبر النافذة المجاورة إلى الميناء الكبير ، الذي ينتصب أمامه تمثال الحرية الشهير ، وغمغم :

– أهلًا بالمعارك .

وتثاءب لينفض عن نفسه أثر النعاس ، الذي لازمه منذ إقلاع الطائرة ، وحرّك عضلاته في حزم ، لتستعيد نشاطها ، ثم جلس هادئًا ، حتى هبطت الطائرة ، فحمل حقيبته ، واتجه إلى ضابط الجمارك الذي سأله بابتسامة كبيرة :

– أين باقي الحقائب ؟

أجابه (حسام) في هدوء :

– لا توجد حقائب أخرى :

انعقد حاجبا الرجل في دهشة ، وهو يقول .

- هل حضرت إلى الولايات المتحدة الامريكية بحقيبة واحدة ؟

ابتسم (حسام) ، وهو يقول :

- لست أنوى البقاء هنا طويلا .

رمقه الرجل بنظرة شك ، ثم أشار إلى حقيبته الوحيدة ، قائلا :

- افتح الحقيبة .

أدار (حسام) الحقيبة فى بساطة ، وفتحها قائلا :

- لن تجد شيئا .. كلها أغراض شخصية .

تطلع الرجل طويلا إلى محتويات الحقيبة ، التى لم تتجاوز آلة حلاقة كهربائية ، ومعجون أسنان ، وفرشاة ، وزجاجة من العطر ، وثلاثة كتب أنيقة التجليد ، ثم سأله :

- ألم تحضر أى نوع من الملابس ؟

هزّ (حسام) رأسه نفيًا ، وقال :

- سأشترى كل شىء من هنا .

بدا شىء من الارتياح على وجه الرجل ، وهو يقول :

- أحسنت التفكير .. لن تجد أفضل من المنتجات الأمريكية .

ابتسم (حسام) فى سخرية ، وهو يغلق حقيبته ، قائلا :

- بالطبع .. أنا أثق كثيرًا بالخامات التى تستخدمونها .

وابتعد مستطردًا :

- من القطن المصرى .

غادر المطار فى هدوء ، وكأنه فى طريقه إلى نزهة لطيفة ، واستوقف واحدة من سيارات الأجرة الصفراء ، وقال لسائقها ، وهو يجلس فى مقعدها الخلفى :

- إدارة شركة الهاتف الخاصة .

لاك السائق قطعة من اللبان ، وهو يقول :

- فى شارع سبعة وأربعين .

أجابه (حسام) ، وهو يفتح حقيبته :

- بالضبط .

انطلق السائق على الفور ، وهو يدندن بلحن أمريكى شائع ، فى حين التقط (حسام) أحد الكتب الثلاثة ، وانتزع من كعبه ماسورة طويلة ، ثبتها فى نهاية آلة الحلاقة الكهربائية ، التى فرد جانبيها بحركة مدروسة ، فتحوّلت إلى جسم مسدس له مقبض أنيق ، وزناد صغير ، وبعدها انتزع جزءًا من كعب الكتاب الثانى ، وألقى نظرة على الرصاصات التسع داخله ، ثم دفع أسفل مقبض المسدس ، ليلائمه تمامًا ، ويعمل داخله كخزانة رصاصات ..

ولم يتبق سوى جذب المشط المختفى فى الجانب الآخر لآلة الحلاقة ، وبعدها أصبح المسدس الآلى مستعدًا

للعمل ، فدسّه (حسام) في جيب سترته ، وهو يغمغم :

ـ الآن يشعر المرء بالارتياح .

توقف السائق أمام مبنى هائل ، من ناطحات السحاب الشهيرة ، وهو يقول في لا مبالاة :

ـ شركة الهاتف الخاصة .

غادر (حسام) السيارة ، ونقد السائق أجره ، وتركه ينصرف متبرمًا ، واتجه إلى موظف الاستقبال في الشركة ، قائلًا :

ـ أريد مقابلة مدير الشركة .

تطلّع إليه الرجل في هدوء ، وهو يسأله :

ـ أهناك موعد سابق ؟

هزّ (حسام) رأسه في بساطة ، قائلًا :

ـ كلا .

وهنا شدّ الموظف قامته ، وهو يقول في حزم :

ـ في هذه الحالة ..

ولكن (حسام) قاطعه في صرامة ، وهو يبرز من جيبه بطاقة رسمية :

ـ الملازم (ميل برون) ، من المباحث الفيدرالية .

ألقى الرجل نظرة متفحصة على البطاقة ، التي تحمل

شعار المباحث الفيدرالية ، وصورة (حسام) في الركن ، ثم أشار بيده ، قائلًا :

ـ الطابق التاسع عشر .. آخر مكتب إلى اليسار .

أعاد (حسام) البطاقة إلى جيبه ، واتجه إلى أحد مصاعد المبنى الأربعة ، في حين تبعه الرجل ببصره لحظات ، ثم التقط سمّاعة الهاتف الداخلي ، وقال :

ـ سيادة المدير .. هناك مفتش من المباحث الفيدرالية في طريقه إليك .. نعم .. اسمه (ميل برون) .. بالتأكيد .. إنه يحمل بطاقة رسمية .

أما (حسام) ، فقد بلغ الطابق التاسع عشر ، وغادر المصعد واتجه مباشرة إلى آخر مكتب إلى اليسار ، حيث استقبلته سكرتيرة فاتنة ، نهضت فور رؤيته ، قائلة :

ـ الملازم (ميل برون) .

أومأ برأسه إيجابًا ، فأسرعت تفتح باب حجرة المدير ، قائلة :

ـ مستر (روزنبرج) في انتظارك .

دلف (حسام) إلى الحجرة ، ورأى رجلًا في أوائل الخمسينات من عمره ، أنيق الملبس ، أشيب الفودين ، ينهض لمصافحته ، قائلًا :

ـ صباح الخير أيها الملازم .. تُرى ما سر زيارتك هذه ؟

أجابه (حسام) وهو يصافحه ، ويتخذ المقعد المواجه للمكتب في بساطة :

- بعض الأسئلة الروتينية .

واعتدل يتطلّع إلى المدير لحظة ، ثم سأله في هدوء :

- ماالذي ينبغي أن يفعله المرء ، ليمحو رقم هاتف مَا من الوجود ؟

انعقد حاجبا (روزنبرج) ، وهو يتطلّع إليه في شك متوتر ، قبل أن يقول :

- هذا مستحيل تقريبًا .

ابتسم (حسام) ، وهو يقول :

- دعنا نتشبّث بكلمة تقريبًا هذه ، ونناقشها بكل عناية ، فالكلمة - كما تعلم - تعني أن هذا ليس مستحيلًا بصورة مطلقة .. فلنفترض إذن أنه ممكن ، ولتخبرني ما الواجب اتباعه في هذه الحالة ؟

تردّد الرجل لحظات ، ثم قال :

- فليكن . إنه مستحيل تمامًا ، لو أن هذا يرضيك ، فكل الأرقام لدينا مسجّلة في كمبيوتر الشركة ، الذي يقوم بتوزيعها على خطوط التسليم ، والمتابعة ، والرصد ، والحسابات ، و ...

قاطعه (حسام) ، دون أن تفارقه ابتسامته :

- إذن فالوسيلة المنشودة تأتي عبر الكمبيوتر ؟

ازداد انعقاد حاجبي (روزنبرج) ، وهو يتمتم :

- إلى حد مَا .

ابتسم (حسام) قائلًا :

- عظيم .. ومن المسئول عن هذا الكومبيوتر .

بدا توتر شديد على وجه الرجل ، قبل أن يقول في حدة :

- اسمع أيها الملازم (براون) .. هذه الأسئلة التي تلقيها شديدة الحساسية ، ونحن نعتبرها من أدق أسرار الشركة ، ولن أجيبك عنها ، قبل أن يحضر محامي الشركة بنفسه ، و ..

قاطعه (حسام) في صرامة :

- بل ستجيب عنها يامستر (روزنبرج) .

بدا الغضب على وجه الرجل ، وهو يقول :

- هذا ليس من حقك .. سأطلب من المحامي الحضور ، وسأشكو لرؤسائك ، و ..

كان يتحدّث وهو يلتقط سمّاعة الهاتف ، ولكنه فوجئ بـ (حسام) يمسك معصمه في قوة ، ويجبره على إعادة السمّاعة إلى موضعها ، وهو يقول في صرامة شديدة :

- إنك لن تطلب أحدًا أيها الوغد .

أدار (روزنبرج) عينيه إليه في ذعر ، فاستقبلته فوهة مسدس مصوبة إلى منتصف جبهته تمامًا ، و (حسام) يتابع :

- وستجيب عن كل أسئلتي .

ارتجف الرجل فى شدة ، وهو يقول :

- من أنت بالضبط ؟!.. إنك لست واحدًا من ..

قاطعه (حسام) فى برود :

- لا تقلق نفسك بهذا الشأن ، واترك تقدير الأمور للتاريخ .. والآن هل أنت على استعداد لإجابة كل أسئلتى ، أم ..

وبدلًا من أن يتم عبارته ، جذب إبرة المسدس بتكة مسموعة ، فارتعد (روزنبرج) فى هلع ، وهتف بصوت أشبه بالبكاء :

- لا تقتلنى يا سيّدى .. أرجوك .. إننى لم أتجاوز الخمسين بعد ، ولدى أسرة ، وصديقة ، و ..

قاطعه (حسام) :

- هذا يتوقّف على درجة تعاونك .

هتف الرجل فى انهيار :

- سأخبرك كل ما تريد .

وهنا ، مال (حسام) نحوه ، وسأله بلهجة قاسية ، متوعّدة :

- من المسئول عن الكمبيوتر ؟

أجابه دون تردد :

- مستر (بيكويك) .. إنه رئيس وحدة التخزين والمتابعة ، ومكتبه هو ثالث مكتب إلى اليمين ، فى الطابق

فارتعد (روزنبرج) فى هلع ، وهتف بصوت أشبه بالبكاء .

- لا تقتلنى يا سيدى .. أرجوك .

الرابع والعشرين .. إنه المسئول عن كل الأرقام .

ابتسم (حسام) ، وهو يقول :

ـ هذا يكفينى .

وهوى بمسدسه على مؤخرة عنق (روزنبرج) ، الذى أطلق شهقة مكتومة ، جحظت معها عيناه ، ثم سقط على مكتبه فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، أعاد (حسام) مسدسه إلى جيبه ، وشدّ قامته ، ثم حمل حقيبته ، وغادر مكتب (روزنبرج) ، وهو يقول لسكرتيرته الحسناء بابتسامة هادئة :

ـ مستر (روزنبرج) لا يرغب فى لقاء أحد لساعة كاملة على الأقل ، فهو يجرى بعض الاتصالات الهامة والسرية .

تطلّعت إليه السكرتيرة فى دهشة، ولكنه منحها ابتسامة أخرى ، واتجه إلى المصعد ، واستقلّه إلى الطابق الرابع والعشرين ، وهناك اتجه مباشرة إلى حجرة مستر (بيكويك) ، فدفع بابها ، واقتحمها دون استئذان ، وهو يقول :

ـ مستر (بيكويك) ؟!

رفع رجل ممتلئ الجسم رأسه عن بعض الأوراق ، ونظر إليه فى دهشة واستنكار ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ نعم .. أنا (بيكويك) .. لماذا اقتحمت مكتبى على هذا

النحو ؟.. ثم من أنت ؟

أبرز (حسام) البطاقة الزائفة ، التى صنعها (قدرى) بدقة مدهشة ، وهو يقول :

ـ الملازم (ميل براون) .. من المباحث الفيدرالية .. عندى سؤال أرغب فى الحصول على جوابه منك .

عقد (بيكويك) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ أى سؤال هذا ؟

التقط (حسام) من أمامه ورقة ، وخطّ عليها رقمًا طويلًا ، وهو يسأله :

ـ ما الذى تعرفه عن هذا الرقم ؟

حدّق (بيكويك) فى الرقم المدوّن أمامه فى اضطراب واضح ، لا تخطئه الأعين ، ثم قال فى حدة :

ـ لا وجود لمثل هذا الرقم .

رفع (حسام) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. هل تعرّفته على الفور ؟

أزاح (بيكويك) الورقة فى عصبية ، وهو يقول فى حدة :

ـ قلت لك لا وجود لمثل هذا الرقم ، فى شركتنا على الأقل .. لسنا نعلم شيئًا عنه .

اعتدل (حسام) ، وقال فى برود عجيب :

- أقنعتنى .

ثم هوى بلكمة كالقنبلة على فك (بيكويك) ، الذى أطلق صرخة ألم ودهشة ، وحاول أن يمنع الدماء التى تفجّرت فى ركن شفتيه ، و (حسام) يضيف :

- أقنعتنى بأنك تعرف الكثير .

قفز (بيكويك) ، يحاول التقاط سمّاعة الهاتف ، وهو يصرخ :

- ليس هذا من حقك .. سأستدعى رجال الأمن ، و ...

أخرسته لكمة أخرى أشد عنفًا ، أصابت أنفه مباشرة ، فأسقطته بمقعده أرضًا ، وخنقت صرخته فى حلقه ، فترك الدماء تسيل من أنفه المحطّم فى غزارة ، وهو يحدّق فى (حسام) فى ارتياع ، فانحنى هذا الأخير نحوه ، وابتسم فى برود ، وهو يكرّر سؤاله الأوّل :

- ماالذى تعرفه عن هذا الرقم ؟

رفع (بيكويك) ذراعه ، ليحمى وجهه كله ، وهو يهتف :

- لست أعرف شيئًا .. أرجوك .. اتركنى .

هوت على رأسه لكمة ثالثة ، وحطّمت الرابعة واحدة من أسنانه الأمامية ، وشهق عندما غاصت الخامسة فى معدته ، فى حين لم يفقد صوت (حسام) برودته ، وهو يقول :

- ماذا تعرف عن الرقم يارجل ؟

لهث (بيكويك) فى ألم ، وتولاه الذعر من مرأى الدماء ، التى تغرق قميصه ، فقال والدموع تترقرق من عينيه :

- لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .

رفع (حسام) حاجبيه ، وخفضهما وهو يقول :

- تقدّم ممتاز .. إذن فأنت تعترف كبداية بأنك تعرف أصحاب هذا الرقم .

أومأ (بيكويك) برأسه فى تهالك ، وقال :

- نعم .. أعرفهم .. وهم قوم قساة غلاظ القلوب ، ودفعوا مبلغًا خرافيًا مقابل محو هذا الرقم تمامًا من سجلات الشركة ، وهدّدوا بذبحى بلا رحمة ، لو بحت بالسر .

انتزع (حسام) مسدسه ، وألصقه بصدغه ، قائلًا :

- وأنا سأقتلك على الفور ، لو لم تبح به .. ما رأيك ؟. إننى أترك لك حرية الاختيار بكل ديموقراطية .. أيهما تفضّل .. موت عاجل مضمون ، أم موت بعيد محتمل ؟

انهار الرجل ، متمتمًا :

- أرجوك .

جذب إبرة مسدسه ، وهو يقول فى هدوء مثير :

- آسف ليس لدى خيار آخر .

وفجأة ، تعالى وقع أقدام تعدو عبر الممر ، الذى يقود إلى حجرة (بيكوويك) ، فعقد (حسام) حاجبيه ، وغمغم :

ـ تُرى هل ..؟!

قبل أن يتم عبارته ، توقفت الأقدام أمام باب حجرة (بيكوويك) تمامًا ، ثم دفع أحدهم الباب بقدمه في عنف ، وأطلت منه فوهات ثلاث بنادق قوية ، و ..

وتردد دوى الرصاصات فى المبنى كله .

* * *

٩ ـ ضربة الصقر ..

« نعم .. أعتقد أن هذا ممكن جدًا .. » .

نطق (ألكسى ميلانوفيتش) بهذه العبارة فى حزم وحماس ، وهو يجلس مع (سونيا) فى حجرة مكتبها فى جزيرة (فيل) ، فاعتدلت هى تسأله فى اهتمام :

ـ هل درست الأمر جيدًا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وتابع بنفس الحماس :

ـ نعم .. أحد المشرفين على مخزون الرءوس النووية تلميذ لى ، يُدعى (فكتور مالينوف) ، وهو يعمل حاليًا فى المخابرات الروسية .

سألته :

ـ وهل تثق بوفائه ؟

أطلق ضحكة ساخرة مبتسرة ، قبل أن يقول :

ـ أنا لا أثق بوفاء مخلوق واحد ، حتى ابنى نفسه ، ولهذا كنت أعدّ دائمًا ملفًا لكل من أعمل معهم ، أو يعملون معى ، يحوى أدق تفاصيل وأسرار حياتهم ، وبالذات تلك الأسرار التى يمكنها تدميرهم ، والتى يتهاوون أمامها تمامًا .

ثم اعتدل ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يستطرد :

ـ وما زلت أحتفظ بتلك الملفات .

برقت عيناها في شدة ، وهي تعتدل قائلة :

ـ حقًا ؟!

ثم نفثت دخان سيجارتها ، قبل أن تقول في انفعال :

ـ سيفيدنا هذا كثيرًا في (سناك) .

كانت تشير في وضوح إلى رغبتها في الحصول على هذه الملفات ، ولكنه لم ينتبه إلى قولها ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

ـ وبالذات في حالة (فكتور مالينوف) ، فلدى بعض الوثائق والتسجيلات الصوتية ، والأفلام السينمائية ، التي تشير إلى تعاونه في فترة ما ، مع المخابرات المركزية الأمريكية ، وهذا لا يكفي لإدانته بتهمة التجسس فحسب ، وإنما لنفيه إلى أعمق أعماق (سيبيريا) .. هذا لو أبقوا على حياته .

قالت في انفعال :

ـ عظيم .. عظيم .

وتابع هو في حماس :

ـ وبوساطة هذا الملف ، لن يكون من العسير إقناع عزيزنا (فكتور) بالتنازل عن خمسة رءوس نووية ،

على أنه نمنحه رءوسًا زائفة ، لتفادي حدوث عجز بمخازنه فحسب .

ابتسمت في ارتياح ، وهي تقول :

ـ أنت عبقري أيها (الصقر) .

انتشى في مجلسه ، وهو يقول :

ـ إنني لم أحظ باللقب عبثًا .

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وهي تتطلع إليه في صمت ، ثم سألته بغتة :

ـ كم تريد ثمنًا لها ؟

سألها في دهشة :

ـ ماذا تعنين ؟

أجابته في شيء من العصبية :

ـ تلك الملفات .. كم تطلب ثمنًا لها ؟

حدّق في وجهها لحظة بدهشة ، قبل أن يجيب :

ـ إنها ملفات خاصة .

قالت في انفعال :

ـ سأدفع ثمنًا مجزيًا .

عقد حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

ـ إنها ليست للبيع .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ ولكنني أهديها إليك عن طيب خاطر .

تألقت عيناها لحظة ، ثم همست في دلال :

ـ حقًا ؟!

ذاب مع ابتسامتها الساحرة ، وهتف :

ـ كلي رهن إشارتك يا سيدتي .

أدركت أنها سيطرت عليه تمامًا ، فلوّحت بكفها في لا مبالاة ، وقالت :

ـ حسن يا عزيزي (الصقر) .. دعنا من هذا الآن ، ولنعد إلى خطتنا الأولى .. متى تبدأ مفاوضاتك مع (فكتور) هذا ؟

هزّ كتفيه ، ومسح رأسه الأصلع براحته ، وهو يقول :

ـ يمكنني أن أستقل طائرة الغد إلى (ألمانيا) ، ومنها إلى (موسكو) ، فأصلها مساء بعد الغد ، و ..

قاطعته في حزم :

ـ إنني أكره إضاعة الوقت ، ومن الحماقة أن تنطلق شرقًا ، مادامت (موسكو) أكثر قربًا لو اتجهنا غربًا(*) .. إنك ستستقل الطائرة بعد ساعة واحدة إلى (كندا) ، ومنها ستنطلق إلى (موسكو) في المساء ،

(*) لو نظرنا إلى خريطة العالم ، لسنجد أن المسافة من (نيويورك) إلى (موسكو) غربًا ، تقل كثيرًا جدًا عنها شرقًا .

فتصلها صباح الغد .. وسأنتظر مكالمة هاتفية منك ، مساء الغد ، لتبلغني بنتائج المفاوضات .

ابتسم وهو يقول :

ـ تعجبني هذه الروح العملية ، ولكنني أطمئنك منذ هذه اللحظة .. لن يجرؤ (فكتور) على مخالفتي ..

ثم اعتدل في اعتداد مستطردًا :

ـ وهذا وعد مني .. من (الصقر) .

وابتسمت (سونيا) في سخرية ..

وفي ظفر ..

* * *

انقضّ الوحوش الستة على (منى) ، وكل منهم يطلق صرخة مخيفة ، أشبه بصرخة حيوان مفترس ، ويلوّح بهراوته في شراسة ، والعجوز تطلق ضحكة ساخرة متشفية ..

ولكن (منى) لم تكن بالفريسة السهلة ..

لقد تلقّت ، كواحدة من أفراد المخابرات العامة المصرية ، تدريبات مكثّفة في وسائل القتال اليدوي ، والدفاع عن النفس ..

واكتسبت ، خلال سنوات عملها مع (أدهم) ، خبرة لا بأس بها ، في امتصاص واستيعاب آثار المفاجآت ، والقدرة على قتال المجموعات ..

ومنذ اللحظة الأولى ، التى ظهر فيها الرجال الستة ، قفز إلى ذهن (منى) سؤال واحد ، ملأ كيانها كله ..

ماذا يفعل (أدهم) ، لو أنه فى موضعى ؟..

وبسرعة ، درست الموقف ..

ووضعت خطة القتال ..

ومن حسن حظها أن قائد الشبان الستة أضاع لحظات ثمينة ، فى حوار مسرحى متشدق ، مما منحها فرصة كافية لمراجعة خطتها ، وتعديلها ، و ...

وانقض الشبان الستة ..

وحانت لحظة تنفيذ الخطة ..

وفى مهارة ، اختارت (منى) أقرب الشبان إليها ، ووثبت تركل الهراوة من يده بقدمها اليسرى ، ثم تضربه فى وجهه باليمنى ، فتعيده من حيث أتى ، وتدور حول نفسها فى رشاقة ، لتركل هراوة الثانى ، وهى تهتف :

- لقد أحسنتم إعداد خطتكم .

وعندما هبطت على قدميها ، انحنت فى رشاقة ، لتتفادى ضربة هراوة ثالثة ، وهى تتابع :

- ولكن بأسلوب همجىّ .

كانت تعلم أن اللعبة كلها تعتمد على تفاديها لضربات تلك الهراوات الثقيلة القاتلة ، إذ أن ضربة صائبة واحدة

منها تكفى لقتلها ، أو لإصابتها بعجز دائم على الأقل ؛ لذا فقد انزلقت فى مهارة ، لتتجنب الهراوة الرابعة ، ثم قفزت تلكم حاملها فى أنفه بكل قوتها ، هاتفة :

- وهذا يعنى أنكم تستطيعون هزيمة رجل عادى .

وانتزعت مسدسها ، وأطلقت رصاصاته على معصم الشاب الخامس ، واستدارت تطلق رصاصة ثانية على يد السادس ، مستطردة :

- وليس فتاة مثلى .

كان لظهور مسدسها وقع الصاعقة ، على الشبان الستة ، الذين تصوروا أنهم يهاجمون سائحة عادية ، فإذا بهم أمام فتاة كالإعصار ، حطمت أنوفهم وكرامتهم ، وأذلت ناصيتهم ، فتراجعوا فى هلع ، وانطلقوا يعدون مبتعدين ، وخلفهم العجوز تصرخ فى ارتياع :

- انتظرونى .. لا تتركوا أمكم وحدها أيها الأوغاد .

ظلت (منى) تلهث ، وهى تحمل مسدسها ، الذى تتصاعد من فوهته الأبخرة ، حتى اختفى الشبان والعجوز عن بصرها ، فأعادت المسدس إلى حزامها ، وهى تقول :

- الدرس الأوّل يا (منى) .. لا تتبرعى بمعاونة أحد ما دمت فى مهمة عمل .

وسارت فى خطوات سريعة ، وهى تعتصر ذاكرتها ، حتى عادت إلى الشارع الرئيسى ، وتمتمت :

ـ والآن هل أعود إلى المنزل أم أبحث عن مكان آخر ؟

وراحت تدرس الأمر فى ذهنها بسرعة ، ووجدت أنها أمام احتمالين ، لا ثالث لهما ، فإما أن ما حدث لها كان مجرد محاولة سرقة عشوائية ، قامت بها العجوز مع أبنائها الستة ، لسرقة سائحة أمريكية ، أو أنها محاولة مدروسة للقضاء عليها وقتلها ..

وفى الحالة الأولى لن يضيرها أن تعود إلى منزلها ، وتنتظر رد السفارة ، أما فى الحالة الثانية ، فسيكون منزلها مراقبًا بالتأكيد ، وستجد حتمًا فريقًا آخر فى انتظارها ، لاستكمال ما بدأه الفريق الأوّل ، ولكن مع ملاحظة أنهم يعرفون مدى تسليحها جيّدًا هذه المرة ، مما سيدفعهم للتزود بأسلحة مماثلة ..

وسيكون من العسير جدًا أن تتفادى ستة من المسلحين بالأسلحة النارية ..

ولم يكن الخيار سهلًا .

ولدقيقة كاملة ، وقفت (منى) فى مكانها ، تدرس الموقف كله ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها قائلة :

ـ فليكن .. سنمسك العصا من المنتصف .

واتخذت طريق العودة إلى المنزل ، ولكنها لم تذهب إليه مباشرة ، وإنما اتجهت إلى أوّل منزل صادفها فى الشارع ، وصعدت فى درجات سلمه ، حتى بلغت سطحه ، وساعدتها الأسقف المتلاصقة ، فى المدن الإيطالية ، على القفز من سطح إلى آخر ، حتى بلغت سطح منزلها ، فتعلقت بمواسير المياه ، وهبطت فى بطء ، على جدار المبنى الخارجى ، متسترة بالظلام ، حتى بلغت نافذة شقتها ، فالتصقت بالجدار ، ومالت تختلس النظر عبرها فى حرص ..

وخفق قلبها فى قوة ..

لقد كانت على حق ، فى اتخاذ جانب الحذر .

كان فى ردهة منزلها رجلان ، انهمكا فى فحص محتويات الشقة ، وتفتيش كل ركن فيها على نحو يوحى بأنهما يبحثان عن شىء ما ..

وألقت (منى) نظرة على الشارع أسفلها ، فوجدته خاليًا ساكنًا ، على نحو لا يشف أبدًا عن وجود آخرين ، فتمتمت :

ـ ليتك كنت هنا يا (أدهم صبرى) ، لترى ما الذى صنعته بتلميذتك النجيبة .

قالتها والتقطت نفسًا عميقًا ، و ..

وقفزت ..

قفزت فى مهارة ورشاقة تستحقان الإعجاب ، لتخترق زجاج النافذة بدوىّ مكتوم ، وتهبط داخل ردهة الشقة ،

حتى بلغت سطح منزلها ، فتعلّقت بمواسير المياه وهبطت فى بطء ، على جدار المبنى الخارجى ..

ثم تدور حول نفسها فى مرونة ، وتقفز واقفة على قدميها ، وهى تستلّ مسدسها ، قائلة :

ـ معذرة أيها الوغدان ، لو أن تخولى المباغت قد أزعجكما .

بوغت الرجلان بانقضاضتها ، وتراجعا لحظة ، ولكنهما استعادا جأشهما بسرعة مدهشة ، وانقضّا عليها فى شراسة من الجانبين ، فى مناورة التفاف مدروسة ، توحى بأنهما قد تلقيا تدريبات جيّدة فى هذا الشأن ..

ولكن (منى) قفزت تستقبل أوّلهما بركلة مباشرة فى أنفه ، ثم أدارت يدها لتهوى بمسدسها على رأس الثانى ..

وقبل أن يسقط الرجلان ، برز ثلاثة آخرون من حجرة نومها ، ورابع من المطبخ يهتف بالإيطالية :

ـ أمسكوا بها .

انقضّ الرجال الثلاثة عليها ، وانتزع أحدهم مسدسه ، فعاجلته هى برصاصة ، اخترقت يده ، وأجبرته على إفلات مسدسه ، وهو يطلق صرخة ألم ، ولكن الرابع باغتها من الخلف ، وطوّق ذراعيها ووسطها بذراعيه ، فوثبت بقدميها إلى الأمام ، وركلت الرجلين الذين يهاجمانها يمناها ويسراها ، ثم أعادت قدميها إلى الأرض ، وانحنت فى مرونة ، لتلقى الرابع عن ظهرها ..

ولكن انتفاضتها لم تكتمل ..

لقد انقض عليها شخص آخر بغتة ، وضرب المسدس من يدها ، ثم هوى على رأسها بضربة قوية عنيفة ..

ودار رأس (منى) بشدة ، ولكنها قاومت تلك الغيبوبة ، التى هاجمتها فى شراسة ، وحاولت أن تضرب مهاجمها الجديد ..

ولكنها تلقت ضربة ثانية ..

وفى هذه المرة سقطت (منى) ..

لم تفقد وعيها تمامًا ، ولكنها سقطت أرضًا ، وشعرت بالرجال الخمسة يتكالبون عليها ، ويحيطون معصميها بأغلال حديدية ، فهتفت فى عصبية :

ـ من أنتم ؟.. ماذا تريدون ؟

جذبها الرجال فى عنف وخشونة ، وسمعت صوتًا يقول بالإيطالية :

ـ يبدو أن البلاغ كان صحيحًا .

فتحت عينيها فى صعوبة ، وتطلعت إلى الرجل الواقف أمامها ، والذى بدا غاضبًا ، صارمًا ، عنيفًا ، وقالت :

ـ أى بلاغ ؟

أجابها فى غلظة :

ـ أحدهم يتهمك بأنك جاسوسة .

ردّدت فى دهشة وتوتر :

ـ جاسوسة ؟

قال الرجل :

ـ يمكنك الاعتراف أو الإنكار تمامًا ، ولكن هذا لن يعفيك من قائمة الاتهامات الأخرى ... مقاومة رجال الشرطة ، وحمل سلاح بدون ترخيص ، وتخزين بعض الأسلحة والقنابل المحظورة ، وإطلاق النار على رجال الشرطة .. إنها اتهامات تكفى لإلقائك خلف القضبان ، لربع قرن على الأقل .

عندئذ فقط فهمت (منى) اللعبة ..

لقد أحسن خصمها إعداد خطته ، ووضعها فى موقف لا تحسد عليه ..

موقف بالغ السخافة ، و ...

والخطورة .

★ ★ ★

١٠ ـ حجرة الإعدام ..

اقتحم رجال الأمن في شركة الهاتف الخاصة ، حجرة مستر (بيكويك) ، مسئول الكمبيوتر ، وصوّبوا بنادقهم إلى (حسام) ، ولكن هذا الأخير استدار إليهم في سرعة ، وأطلق رصاصات مسدسه ، فأصاب كتف أحدهم ، وعنق الآخر ، في حين هبّ (بيكويك) واقفًا ، ولوّح بذراعيه ، صارخًا :

ـ أنا لم أقل كلمة واحدة يا (نيدى) .. أقسم لك .

ولكن رصاصته انطلقت ، واخترقت صدره ، فجحظت عيناه في ألم وارتياع ، ثم انكفأ على وجهه فوق مكتبه ، والدماء تنزف من جرحه في غزارة ..

أما (حسام) ، فقد أطلق ثلاث رصاصات أخرى ، أجبرت رجال الأمن على التراجع ، ثم اندفع يغلق رتاج الحجرة في إحكام ، وعاد إلى (بيكويك) في سرعة ، وانحنى يفحصه ، وشعر بأنفاسه تتردد في صدره ، فسأله في عجلة :

ـ من صاحب الرقم يا رجل ؟

سعل (بيكويك) في ألم ، وتناثرت الدماء من حلقه مع سعاله ، وهو يمسك صدره ، قائلا :

ـ لا فائدة .. لقد قتلوني من أجله .

وفي الخارج ، تعالى صوت يهتف :

ـ أحضروا الدروع ، وانسفوا هذا الباب .

ولكن (حسام) تجاهل هذا ، وهو يسأل (بيكويك) :

ـ من هم يارجل ؟.. من هؤلاء الذين قتلوك ؟

سعل (بيكويك) مرة أخرى ، وسالت الدماء من فمه غزيرة ، وأسبل جفنيه في ضعف ، فهزّه (حسام) ، قائلا :

ـ ألا ترغب في الانتقام يارجل؟.. لقد قتلوك وانتهى الأمر .. دعني أثأر لك إذن .

كانت الأصوات تمتزج وتتصاعد في الخارج ، وفتح (بيكويك) عينيه في صعوبة ، وكأنما أقنعه منطق (حسام) ، وتمتم :

ـ (بورسالينو) .

سأله في اهتمام بالغ :

(بورسالينو) من ؟!

سعل مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ (توني) .. (توني بورسالينو) .. شركة الا .. الا ..

وقبل أن يتم عبارته ، انتابته نوبة عنيفة من السعال ، ونزفت جروحه في شدة ، ثم شهق في قوة ، و (حسام) يهتف به :

ـ شركة ماذا ؟

ولكن جسد (بيكويك) انتفض فى عنف ، ثم استكان تمامًا ..

وعندئذ فقط ، انتبه (حسام) إلى ما يحدث فى الخارج ..

كان هناك صخب معدنى ، وأصوات جمع يتحرّك ويتحدّث فى عصبية ، ثم ارتفع صوت يهتف :

ـ حطموا هذا الباب .

ولم يكد ينتهى من عبارته ، حتى هوت ضربات عنيفة على الباب ، الذى ارتجّ فى قوة تحت وطأتها ، وبدا من الواضح أنه لن يحتمل ثلاث أو أربع ضربات أخرى ، ثم ينهار تمامًا ..

ولم يكن هناك مخرج من الحجرة ، فهى حجرة مربّعة صغيرة ، لها ثلاثة جدران عادية ، أحدها يحوى بابها الوحيد ، أما الجدار الرابع فكان جدارًا زجاجيًا ضخمًا ، هو واجهة ناطحة السحاب ..

وتلفّت (حسام) حوله ، وقد بدت له الحجرة أشبه بحجرة إعدام ، تنتظر مصرعه بعد دقائق معدودة ..

ولم يحتمل الباب طويلًا ..

لقد انهار بسرعة ..

انهار ليندفع رجال الأمن عبره ، وقد ارتدوا دروعًا واقية من الرصاصات ..

ومرة أخرى تردد دوى الرصاصات فى المكان ..

فى ناطحة السحاب كلها ..

★ ★ ★

أظلمت الدنيا أمام عينى (أدهم) ، وسقط فى هوة عميقة ..

لم يدر كم بلغ عمقها بالضبط ، ولا كم من الوقت ظل غارقًا فيها ..

ولكن فجأة ، تلاشى كل ذلك الظلام دفعة واحدة ..

وحلّ محله ظلام آخر ..

لقد استعاد (أدهم) وعيه ، وشعوره بما حوله ..

ولكن كل شىء أمامه كان مظلمًا ..

ولثوان ، ظل (أدهم) صامتًا ، يتحسس الأرضية التى يرقد فوقها فى حذر ..

كانت أرضية من معدن مصقول بارد ، يمتد لمسافة واسعة ، ويحيط به تمامًا ..

وفى هدوء ، نهض (أدهم) ، ومدّ يده أمامه ، يتحسّس طريقه ، وأدرك عندئذ أنه داخل مكان واسع إلى حد ما ، فقد كان الجدار على بعد متر ونصف المتر منه ، وكان جدارًا زجاجيًا أملس ، يمتد لمسافة مترين ، ثم يلتقى بآخر معدنى ..

ولم تمض دقائق خمس ، حتى كان (أدهم) قد تعرّف جيدًا المكان الذى يحيط به ..

إنه داخل حجرة مربعة ، يبلغ طول ضلعها مترين كاملين ، ولها ثلاثة جدران وأرضية من المعدن ، والجدار الرابع من الزجاج ، أما سقفها فيرتفع أكثر من ثلاثة أمتار .

ولكن لم يفهم طبيعة المكان ..

أهو سجن من نوع خاص ؟!..

أم فخ تكنولوجى جديد ؟!..

ثم ماذا أصابه بالتحديد ؟..

لقد شعر بالرصاصات ترتطم بجسده ، وتنغرس فى ذراعه وعنقه ..

ولكنها لم تكن بالرصاصات العادية ..

إنها لم تخترق جسده ، وإنما انغرست فيه ..

لقد كانت على الأرجح ، رصاصات مخدّرة ، من تلك التى يستخدمها الأطباء البيطريون فى الغابة ، لتخدير الحيوانات المفترسة ، التى تحتاج إلى متابعة ، أو علاج من نوع ما . .

وهذا يعنى أن سير (لا نسلوت) ليس بالخصم الهين ..

إنه ثعلب ماكر .

لقد احتاط للأمر ، حتى لا يلجأ خصمه ـ أيًا كان ـ إلى ما لجأ إليه (أدهم) ..

فلو سيطر عليه أى خصم ، وحاول أن يتخذ منه درعًا وحماية ، فسيطلق رجاله النار بلا تردد ، وليفقد هو أيضًا وعيه مع الخصم ..

وبعدها يتولى رجاله الأمر كله ..

إنهم سيعزلون الخصم فى سجن كهذا ، ويحملون سيدهم إلى فراشه الوثير ، حتى يستعيد وعيه ، ويعود لمواجهة خصمه ..

إنه رجل ذكى بالفعل ..

أو هو سادى .

يتلذذ بالإبقاء على حياة خصمه ، ليقتله بأبشع وسيلة ممكنة ..

وفى هدوء ، جلس (أدهم) فى أرضية الحجرة المظلمة ، وهو يرتب أفكاره ..

(لانسلوت) هذا يعمل لحساب منظمة (سناك) .

أو يتعاون معها

وامرأة هى التى أقنعته بفعل هذا ..

امرأة تحمل اسم (جوان) ..

وقلبه يحدثه بأنها هى نفسها (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

زوجته السابقة الشرسة (*) ..

وأم ابنه الوحيد ..

ابنه الذي اختطفته ، وفرّت لتختفي تمامًا ، ويفقد هو أثرها حتى الآن(**) ..

لم يكد يتذكَّر ابنه ، حتى تدفقت مشاعره على نحو عجيب ..

كم يشتاق إليه ..

كم يتمنى رؤيته مرة أخرى ، ولو لحظة واحدة ..

لحظة يشبع فيها أبوته الجريحة ، ويروي ظمأها الطويل ..

ولكنه يعلم أن السبيل الوحيد إلى هذا ، هو العثور عليها ..

على (سونيا جراهام) .

لذا فهو لن يدخر وسعًا في سبيل هذا ..

سيبحث عنها حتى آخر لحظة في حياته ..

حتى آخر نفس يتردد في صدره ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

حتى آخر قطرة دم في عروقه ..

وسيقاتل في سبيل ذلك ما استطاع .

سيقاتل الدنيا كلها ..

وشياطين الجحيم أنفسهم ، لو اقتضى الأمر .

والعجيب أنه لم يكد يأتي على ذكر شياطين الجحيم في أعماقه ، حتى ارتفع صوت سير (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ هل استعدت وعيك أيها البطل ؟

كان الصوت يبدو وكأنه يأتي من ناحية الجدار الزجاجي ، فالتفت إليه (أدهم) ، وقال في سخرية :

ـ المفروض أن ألقي عليك أنا هذا السؤال أيها الوغد .

فهقه (لانسلوت) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ ولكن لا تنكر أنها فكرة عبقرية .

قال (أدهم) :

ـ إنها تليق بوغد مثلك .

أجابه (لانسلوت) في زهو :

ـ بل قل : بعبقري .

ثم استطرد في حماس :

ـ الطريف في الأمر هو أنني أشعر كثيرًا بالملل .

قال (أدهم) ساخرًا :

فالتفت إليه (أدهم) ، وقال فى سخرية
ـ المفروض أن ألقي عليك أنا هذا السؤال أيها الوغد

ـ هذا أمر طبيعي ، بالنسبة للورثة العاطلين أمثالك .

تجاهل (لانسلوت) العبارة ، وتابع بسرعة :

ـ وللتغلب على حالة الملل هذه ، ابتكرت لعبة جديدة .

قال (أدهم) مرة أخرى فى سخرية :

ـ لعبة السلم والثعبان .

ومرة أخرى أيضًا ، تجاهل (لانسلوت) العبارة ، وهو يستطرد :

ـ وفي هذه اللعبة أفترض دائمًا وجود خصم قوي ، وأتخيل أن هذا الخصم قد هاجمنى فى مكان ما .. فى قصرى ، أو فى نادي الجولف ، أو نادى الرماية .. أو حتى فى الطريق العام .. ثم أبدأ فى دراسة الموقف كله ، وكأننى أمام رقعة شطرنج ، وأضع احتمالات الهجوم ، ووسائل الدفاع ، وأبتكر وسائل وأساليب جديدة .

وصمت لحظة ، التقط خلالها أنفاسه بصوت مسموع ، قبل أن يستطرد :

ـ وهذه اللعبة مفيدة للغاية ، لو أنك تفهمها جيدًا .

لم يعلق (أدهم) على العبارة الأخيرة ، على الرغم من تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على شفتيه فى الظلام ، والتى بدت أكبر وأضخم فى أعماقه ، فقد كانت

هذه اللعبة جزءًا من تدريباته في زمن ما ..

ثم إنها جزء لا يتجزأ من عمل المخابرات الدائم ..

وضع كل الافتراضات ، الخاصة بتحركات الخصم ، ودراسة أفضل الردود على كل خطوة ..

ولكن (لانسلوت) تابع في شغف :

ـ وهكذا .. وعندما يتحوّل أحد هذه المواقف التخيلية المفترضة ، إلى واقع ملموس ، ينتفى عندى أدنى إحساس بالمفاجأة ، فقد سبق لى أن عشت الدور نفسه ، ودرسته ، واتخذت الرد المناسب له .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف :

ـ فكرة عبقرية بحق .. أليس كذلك ؟!

قال أدهم في سخرية :

ـ ماذا تنتظر منّى أن أفعل الآن ؟.. هل أصفق بحرارة ؟!

قال (لانسلوت) بسرعة :

ـ لو أنني في مكانك لفعلت .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

ـ من حسن الحظ أنك لست في مكاني .

قال (لانسلوت) في صرامة :

ـ لا تبتسم بسخرية هكذا يا مستر (أدهم) ، فالمثل يقول ، من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا » .

شعر (أدهم) بالدهشة ، مع تلك العبارة ..

كيف أدرك (لانسلوت) ، أنه ابتسم في سخرية ؟!

إنه لم يضع أدنى قدر من سخريته في صوته ..

فكيف رأى (لانسلوت) ما حدث ، وسط هذا الظلام الدامس ؟..

وقبل أن يستطرد (أدهم) في أفكاره ، تابع (لانسلوت) :

ـ وفي هذا الموقف ، سأكون أنا الذى يضحك أخيرًا بالتأكيد ، وخاصة بعد أن وضعناك في حجرة الإعدام .

ردّد (أدهم) :

ـ حجرة الإعدام ؟!.. ياله من مناخ رومانسي ساحر !

قال (لانسلوت) :

ـ إنه رومانسي بالفعل يا مستر (أدهم) . انظر إلى اللوحات التي تزين الجدران ، ولون السقف ، و ..

قاطعه (أدهم) ساخرًا :

ـ سأدرس كل هذا فيما بعد .

قال (لانسلوت) في لهجة شامتة :

ـ لن يكون هناك (فيما بعد) يا مستر (أدهم) .. سينبعث من سقف الحجرة ، بعد خمس دقائق فحسب ، غاز خفيف أخضر اللون .. وهذا الغاز واحد من أعظم ابتكارات معاملى للكيماويات ، فهو يصيب النهايات الطرفية

مباشرة ، وببطء شديد .. وعندما تستنشق هذا الغاز يا مستر (أدهم) ... وستفعل ذلك حتمًا ، مهما حاولت كتم أنفاسك طويلًا ، ستبدأ عدة أعراض في الظهور بسرعة ، بدءًا من آلام المفاصل والأطراف ، ومرورًا بالالتهابات العصبية الطرفية التي لا تطاق ، وحتى الانهيار الطرفي ، والعذاب الذي ينتهي بالموت وحده .

قال (أدهم) في سخرية:

- ألم أقل لك : إنه إطار رومانسي .

قال (لانسلوت) :

- بالتأكيد يا مستر (أدهم) وخاصة أنه لا يوجد أي عقار مضاد لهذا الغاز الجديد ، وتأثيره حتمي وغير رجعي .

قال (أدهم) في تهكم :

- عظيم .. ومتى تشعلون الأضواء ، لنرى كل هذا ؟

هتف (لانسلوت) فجأة بدهشة كبيرة :

- الأضواء ؟!.. ولكن الأضواء مشتعلة بالفعل يا مستر (أدهم) . وأنا أجلس أمامك مباشرة ، عبر الجدار الزجاجي .. ألا تراني منذ البداية ؟!

وهنا كانت المفاجأة الحقيقية لـ (أدهم) ..

إن هذا الظلام لم يكن يحيط به في الواقع ..

إنه داخله هو ..

لقد فقد القدرة على الإبصار لسبب ما ..

فقدها تمامًا ..

ومن فوقه ، بدأ صوت الغاز المنطلق يعلن عن قرب النهاية ..

نهاية البطل ..

البطل الأعمى .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثاني

(القناص)

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٩٧

الثمن في مصر
١٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الصقر الأعمى

- ما الخطة التي تعدها (سونيا جراهام)، بعد منظمة (سناك)، للسيطرة على العالم ؟!
- من هو الرجل الملقب بـ (الصقر) ؟ وما الذي تريده منه (سونيا) بالضبط ؟!
- ترى هل ينجح فريق (أدهم) و (حسام) و (منى)، في التصدي للخطر هذه المرة، ومنع مؤامرة (الصقر الأعمى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع الفريق، بقيادة (رجل المستحيل).

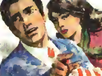

العدد القادم: القناص